الجزء الرابع ١٩٤٤ السنة الأولى





زهرية من طراز (العائلة الخضراء) عليها ثمانية من الأبطال الخالدين، ترجع إلى عهد كانج هسى (١٦٦٢ - ١٧٢٢). المتحف البريطاني.

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار


معطرة
منعشة
مرطبة
مبردة
YARDLEY
Old English Lavender
TALC POWDER



هذه الأسطوانات من الموسيقى الشعبية سجلها فنانون مشهورون وهى ستملؤك طربا واستمتاعا. اطلب من باعتك الذين تعاملهم أن يدعوك تستمع إليها.

الأسطوانة	الرقم
تقسيم عجم عشيران الاستاذ سامى الشو	19826
عنا ورد الجناين ناجيه الشاميه	19814
ريم الشمال على اللبان	19772
وسول الرضا الاستاذ محمد على حسن	GTS 50
ماترد على محمود محاورة زكية وعبدالغنى الشيخ	GTS 48
بنات حوا السيدة زكية عبد الغنى	GTS 45
وطى صوتك محاورة زكية وعبدالغنى الشيخ	GTS 41
ياريتنى خلقان برغوت الاستاذ عمر الترك	GTS 39
اليوم صفا الموسيقى السوارى	GA 94
سميحه الموسيقى السوارى	GA 93
قضيت حياتى فى مناهده سنيه حسنين	GA 75
سر بوجدى ولوعتى وهيامى فضيله رشدى	GA 68
البخت والقسمه فين صالح عبد الحى	GA 98
ان عاش فؤادك صالح عبد الحى	GA 90
اسمع البلبل يغنى الانسه اسمهان	GA 92
اين الليالى الانسه اسمهان	GA 81
كل القلوب فى هنا حسن سلامه	GA 3
بشرف حجاز همايون شامى الشوا	D 13286
مارش الاهرام موسيقى مدرسة البوليس	D 13314
ازاى فوادى سكينه حسن	D 13499
نشيد حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق نظم وتلحين الاستاذ اسكندر شلفون	D 13506
مارش حضرة صاحب السمو الملكى الامير فاروق نظم وتلحين الاستاذ اسكندر شلفون	D 13506
آلام الوالدين الاستاذ سامى الشوا	19828
لونكا فرحفذا سامى الشوا	19824
سماعى عجم عشيران سامى ونورى والشيخ على	19832
سماعى عجم عشيران سامى ونورى والشيخ على	19832

COLUMBIA

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير المتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

التعليم فى انكلترا

يرتكز نظام التعليم فى انكلترا على ما يعتقده الانكليز من ان الهدف الاسمى للتعليم هو تهيئة الصغار لحياة طيبة . ومن ثم اعدوا فئة من المعلمين ، يعهد اليها باعداد الصغار للمساهمة فى حياة الكبار . فضلا عن ان المعلمين فى بلاد الانكليز اساتذة فى فن الحياة، يستطيع الاطفال ان يتلقوا عنهم اصول هذا الفن . ولما كانت الامة الانكليزية ديموقراطية بفطرتها وطبيعتها، لذلك نجد ان معلميها كافة قد تشربوا بالمبادئ الديموقراطية واعتنقوها، فاذا ما اقتدى بهم الاطفال — كالمعتاد — شبوا على هذه المبادئ السامية .

وللمدارس الانكليزية اهداف معينة، فهى تحرص على ان تكون هيئات اجتماعية صغيرة تسعى لتخريج او خلق هيئات اكثر انتظاما واسمى هدفا . وهذه الروح تسود كافة المدارس، العامة منها والخاصة وسواء كانت من رياض الاطفال او من المدارس الثانوية . ومن اهم الظواهر فى رياض الاطفال عندهم، اعداد فصول فى الهواء الطلق، يعنى فيها بالغذاء ويمنح فيها الطفل حرية تامة فى حركاته وتصرفاته وحديثه . وتشرف على هذه الفصول مربيات قديرات . وهذا النوع من رياض الاطفال، يستخدم اثاثا ذا الوان زاهية، ولعبا كثيرة متباينة منوعة . ولا يتلقى فيه الاطفال فيما بين سنى الخامسة والسابعة دروسا بالمعنى الصحيح وانما يقتصر التعليم فيه على ما يزجى من نصائح وارشادات وشرح اثناء ساعات الالعاب والرسم والاعمال اليدوية والتمثيل . ولذا فانها تعد بحق اساسا للنظام الصحيح الذى يعزى اليه سر النجاح .

وكذلك ترمى المدارس الانكليزية الى خلق هيئة اجتماعية روحية . كما انها



ر السنوى للاتحاد الوطنى للمعلمين فى قاعة سنترال، وستمنستر، لندن.
ر هذا المؤتمر معلمون من جميع أنحاء بريطانيا.

عد الشباب للاعتماد على النفس. فقد كانت هذه المدارس — ولا تزال — ساير رقى الامة، وتتمشى مع حاجاتها المطردة المتشعبة، فتعد الطلاب خير حياة حرة، وتزودهم بالكمال الخلقى وتهيؤهم لخدمة البلاد فى اخلاص واستقامة وصدق، وتعودهم التضحية بالمصلحة الخاصة فى سبيل المصلحة العامة والعمل لتوفير الرفاهية للمجتمع والخير للانسانية.

وهذا كله نلمسه اليوم فى الشباب الانكليزى، الذى امتشق الحسام لدافع عن الحرية والديموقرطية ولينصر الضعيف ويرد كيد المعتدى.

ن ينفق على التعليم؟

يعتمد التعليم الانكليزى على المساعدات والمنح الخاصة وعلى جهود الهيئات المدنية. فما قامت رياض الاطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات الا على تلك الهبات والمنح والا على جهود العلماء الروحانيين. إذ ساهم الانكليكان والكاثوليك والملوك والامراء والشركات والاغنياء

والتجار فى منح هذه المؤسسات المال الذى كان عونا على اقامة المدارس المختلفة فى ارجاء البلاد .

ولقد تولت الحكومة والهيئات المحلية منذ عهد قريب، مسؤولية تنظيم التعليم الوطنى على الاسس الحديثة، فاصبحت وزارة المعارف ترأس ٣٢٠ هيئة محلية، اضطرتها الى اتباع النظام الذى وضع لتوحيد الطريقة العامة للتعليم، دون تضحية بالحاجات المحلية . ولا تزال مدارس الاطفال والمدارس الابتدائية تضم الى اليوم اطفالا تتراوح اعمارهم بين الخامسة والحادية عشرة . وتتبع منهاجا خاصا لاعداد الصغار فيما بعد هذه السن . واذ كان عدد التلاميذ فى ازدياد مطرد سريع — قبل الحرب — فقد عدلت سنى ترك الطالب للمدرسة، فاصبحت الآن محدودة بسن الخامسة عشرة.

ولقد كان اتساع التعليم الثانوى فى انكلترا عظيما خلال الثلاثين سنة الماضية، فبينما كانت المدارس الثانوية للبنين تضم ٨٦ الف طالب فى سنة ١٩٠٤، اصبح عدد طلابها اليوم نصف مليون تقريبا . وبينما كان عدد الطالبات فى المدارس الثانوية للبنات ٣٣، الف طالبة فى سنة ١٩٠٢، اصبح عددهن اليوم ربع مليون . وهذا الاتساع — الذى لم يقتصر على التعليم الابتدائى والثانوى ، بل امتد الى المدارس التجارية والصناعية — ضاعف من الفائدة . وفضلا عن هذا الاتساع، فان الهيئات المحلية وعشرات من الشركات الكبيرة، انشأت مدارس للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة، تلقى فيها الدروس طيلة اليوم .

ولعل اكبر دليل على مدى ما اصاب تعليم البنات من تقدم، هذا الاثر البارز فى التطور الاجتماعى العام . فليس من قبيل الصدف ان نجد اليوم كثيرا من النساء قد اكتسبن شهرة واسعة، وبرزن فى الحياة العامة سواء فى النواحى الاجتماعية، او الادبية، او الفنية . وما كان ذلك الا بفضل جماعة من النساء كرسن اوقاتهن للدرس وتحررن من قيود تقليد مدارس البنين ومناهجها . وبذا امكن مدارس البنات الثانوية والعالية

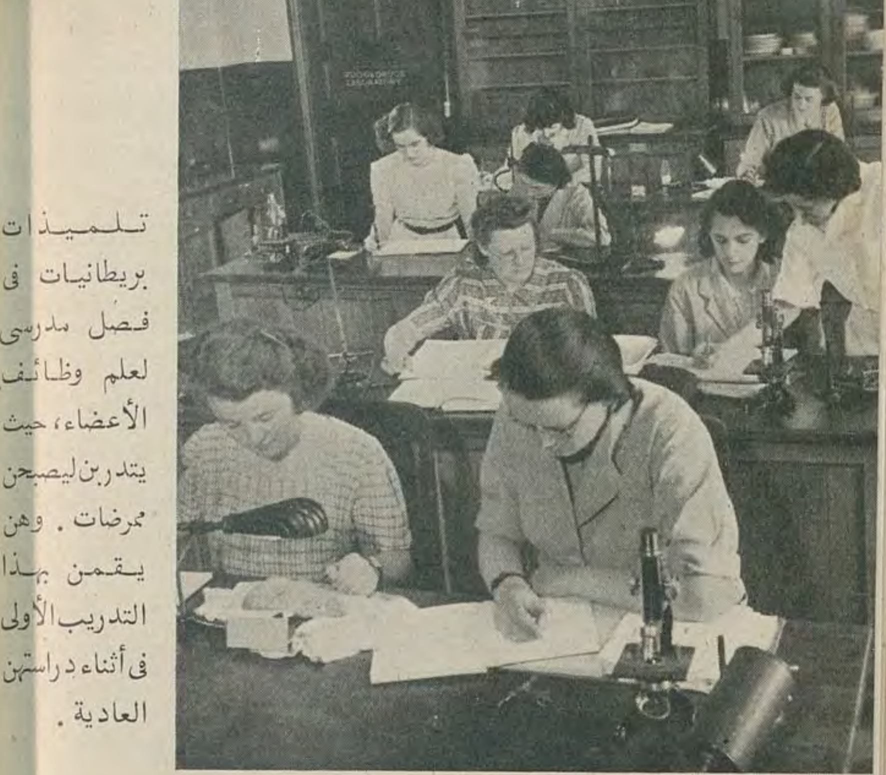
ن تصل الى مستوى عال جدا، وان تغدو مراكز تعليمية اكثر تنوعا
ثباتا منها فى اى بلد آخر .

لعلمون والمعلمات .

ويتجاوز عدد المعلمين والمعلمات فى انكلترا عشرات الالوف . وهم
نظمون فى هيئات خاصة تتخذ شكل نقابات وجمعيات، ويتخرجون فى
ائة دار للمعلمين، وفى جامعات بعضها حكومية وبعضها كنائسية،
نظم لهم دورات دراسية يتلقون فيها محاضرات فيما يجد من العلوم
لفنون، وفى مختلف الموضوعات، حتى تتاح لهم فرص التوسع فى الاطلاع،
حسين طرق التدريس، وحتى تسد الحاجة الى المعلمين، اذا ما ازداد
دد الجامعات . ولقد توسعت جامعات برمنكهام ومنشستر ولفربول
نيلد وبرستول وريدنك فى سنة ١٩٢٦، ومنحها اللورد هلدن مساعدة
خمة كى تزداد نموا . كذلك اتسعت الحركات التعليمية وطرق التعليم
واد الدراسة فى المدارس المختلفة .

وليس فى انكلترا اميون، فكل فرد فيها يعرف القراءة والكتابة . ولم
ث من قبل ان اضطرت الامة الانكليزية الى ان تهتم باسرها بمشكلة
عليم، رغم ان الديموقراطية الصحيحة تتطلب ذلك . فقد اخذت هذه
ية تطالب اليوم بمد امد الحياة المدرسية للفرد، وباعداد البنايات
صحية للمدارس، وتأليف جمعيات من الآباء والمعلمين للتعاون فى العمل
ر التلاميذ، كما راحت تطالب بانشاء مراكز للالعاب وبتنظيم
لاذاعات المدرسية والمشاهد التعليمية التى تروق للاطفال والشباب
لغين بل الكبار . وكل هذه من العوامل التى تساعد على تثقيف
تمع عامة وتهذيبه .

وقد خطت البلاد خطوات واسعة فى سعيها لتعليم المجتمع وتعزيز
غبة فى المساهمة فيه وهذا يدعو الى اعادة النظر فى تقدير الاهداف
ى ترمى اليها فلسفة التعليم، وفى تعديل اتجاهات التعليم فى سن



تلميذات بريطانيات فى فصل مدرسى لعلم وظائف الأعضاء، حيث يتدربن ليصبحن ممرضات . وهن يقمن بهذا التدريب الأولى فى أثناء دراستهن العادية .

البلوغ، وتنظيم الصلات بين مراحل وانواع التعليم المختلفة، والعمل على ان تكون الجامعات والمدارس ومختلف الطبقات، بيئات تنبت فيها الروح الوطنية، وروح الزعامة الديموقراطية، وقد اصبح الطلاب يميلون الى توحيد الثقافة فى الجامعات، كما صار المدرسون ينزعون الى الاقلال من الاعتماد على الامتحانات . وقد هيأت الحرب للناس المجتمعات والاماكن التى يستطيعون فيها ان يخدموا بعضهم بعضا، وان ينشدوا المثل العليا القديمة التى انشئت من اجلها المدارس والتى تدعو الى تعظيم الخالق ومساعدة بنى الانسان .

الحرية فى التعليم .

على الرغم من ان وزارة المعارف تقوم منذ اربعين سنة، الا انها لم تفتتح سوى مدرسة واحدة . وهى لا تتولى تأليف الكتب المدرسية، ولا

تقوم باستخدام المعلمين او دفع مرتباتهم . ولكنها مع ذلك تتكفل بحوالى نصف نفقات التعليم، وتشاطر الهيئات المحلية اعباء الابنية الجديدة، وفى توجيه سياسة التعليم بصورة عامة . وهى تستخدم سيطرتها عن طريق المقترحات التى تنشرها على الهيئات التعليمية . وقد عمدت منذ سنوات الى اصدار كتاب سمته «مقترحات للمعلمين» تتوفر بين حين وآخر على تنقيحه وتعديله واعادة طبعه . وهذا الكتاب يؤثر بصورة غير مباشرة فى جميع المناهج المدرسية . كذلك تصدر وزارة المعارف كتابا تحت عنوان «مقترحات لتخطيط بناء مدرسة ابتدائية عامة» تعمل به جميع المدارس . فضلا عن انها تصدر كتيبات اخبارية عن وجهات مختلفة للتعليم وعن التجارب التعليمية فى انكلترا أو فيما وراء البحار، وعن احدث الطرق فى التربية والتعليم . والاهم من كل ذلك ان وزارة المعارف تستخدم عددا من المفتشين يحمل كل منهم لقب «مفتش صاحب الجلالة» ويعين من قبل جلالة الملك . وهؤلاء المفتشون يتنقلون بين المدارس ويتعرفون الى المعلمين ويفتشون المدارس تفتيشا دقيقا، فتسترشد الوزارة بتقاريرهم فى اعمالها وتصدر مقترحاتها على ضوئها . كذلك لدى الوزارة لجنة استشارية تدرس وتضع الخطط التعليمية النافعة . وهذه اللجنة هى التى اصدرت تقريرى «هدو» و «اسبنس» اللذين سبق ان اثرا تأثيرا عظيما فى تنظيم التعليم .

وتتمتع الهيئات المحلية بحرية واسعة فى العمل وان كانت مقيدة فى وضع خطة التعليم الخاصة بها وفى وضع نظمها .



المكتبة الفسيحة فى مدرسة كيدستون الثانوية للبنات . وكل المدارس البريطانية تقريبا تحتوى على مكتبات غنية بكتبها .

مديرو المدارس .

ولمديرى المدارس حرية فى وضع مناهج مدارسهم . وخير مدير هو الذى يترك معلميه احرارا فى اختيار التفاصيل التى يسيرون عليها فى تنفيذ المنهج المقرر. كذلك للمدارس الحرية فى اختيار الكتب من القوائم التى تعدها الهيئات المحلية . ولا يشترط فى المعلم ان يكون على دين معين او مذهب خاص . كما ان له مطلق الحرية فى ابداء آرائه السياسية . غير انه لا يجوز له نشر هذه الآراء فى المدرسة وان لم يكن هذا المنع مقيدا بقانون .

ويشترط فى هذه المناهج التى تتبع فى المدارس، ان تتمشى مع الرغبة العامة والديموقراطية ومحبة الحرية . ويدرك المدرسون تماما ان حرياتهم تقف عند حد النظام، وان لاضعفهم نفوذا ان يعمل على تحسين عمله، اذا كانت الخطة مستمدة من خارج المدرسة . كما ان معظمهم يستخدمون افكارهم فى تأدية واجباتهم . وهكذا يزدادون دائما شعورا بالمسؤولية، على العكس من زملائهم فى الاقطار الأخرى، التى يخضع التعليم فيها للنظم المركزية الشديدة . فنظام التعليم فى الواقع يجب ان يكون كالدستور الانكليزى ، اى ان ينشأ عن سلسلة من التجارب المفيدة — والحرية والتجربة هما بمثابة الحياة والتنفس للتعليم فى انكلترا من روضات الاطفال الى الجامعات .

هيئات المعارف المحلية .

واذ كانت الحرية هى اساس التعليم الانكليزى ، لذلك فان اية سيطرة او روح مركزية تقاوم مقاومة عنيفة . فالمدارس تدار تحت اشراف ٣٢٠ هيئة معارف محلية للمدن الكبيرة والصغيرة . وعلى كل هيئة من هذه الهيئات ان تواجه كثيرا من المشكلات المختلفة تبعا لعدد المدارس الكنائسية الموجودة فى منطقتها، وتبعا للمؤسسات المحلية والعادات والبيئة ونوع اللجان المحلية واتجاهاتها السياسية ، وكذلك تبعا لمؤهلات رئيسها الاعلى الذى يسمى عادة «مدير المعارف» مع انه مأجور لخدمة الهيئة

حلية . ويضطلع بكل هذه المسؤوليات المحلية على ايدى عدد من الرجال
والنساء يستطيعون ان يقدموا وقتا ومجهودا للمجموع تطوعا واختيارا .
كلما تنوعت المدارس اصبحت واجباتها اكثر تعقيدا . فتؤلف هيئات
لشباب، واخرى للتعليم العالى، وهكذا . ففى السنين الحالية، قامت بعض
صاعب فى سبيل العثور على الرجال والنساء الذين يكونون اكفاء
للاضطلاع بهذه الوظائف . بيد ان هذه المصاعب تتلاشى بالحصول
لى الفائدة الاكيدة، وهى تحقيق الرغبات المحلية فى المدارس . وربما
يكن بعد الحرب الوصول الى طرق احدث وانفع ، لتوسيع الاتصال بين
رغبات العامة، فنمو جمعيات الآباء والمعلمين واطالة فترات المعارض
لمدرسية، واسابيع التعليم، كل هذه عوامل تقوى عرى التفاهم بين الآباء
والساهمين المحليين فى التعليم . وتحتفظ كل هيئة باحصاء كامل للمدارس
والفصول التى يخضع بعضها لاشرافها مباشرة، ويحصل البعض الآخر
لى المساعدة والاشراف عن طريق غير مباشر .

كلية إيتون المشهورة فى جميع أنحاء العالم .





كل مدرسة من المدارس البريطانية العامة تبدأ يومها الدراسى بتلاوة الصلاة. وترى فى الصورة تلاميذ مدرسة وستمنستر مجتمعين فى قاعة المدرسة .

وزيادة فى الشرح، نفترض وجود احدى هذه الهيئات فى متناولنا، فنبحث فى حدود عملها من رياض الاطفال الى الجامعة . فلنفرض ان فى المنطقة روضتين للاطفال، الذين بين سنى الثانية والخامسة، وان هاتين المدرستين كانتا ناجحتين وكانتا المع نقطتين فى سماء المؤسسة، ولكن الهيئة وجدت انهما غير كافيتين فاضطرت الى تأسيس روضة ثالثة، واشطرها الاقتصاد، فاضافت غرفا لفصول الروضة بكل ابنيتها الجديدة؛ وهكذا اصبحت الهيئة تملك روضة، وتساعد روضتين ، وتدير فصولا فى بعض الروضات لاولئك الذين يلتحقون بالمدرسة دون سن التعليم الاجبارى ، وهم حوالى ٥ ٪ ، اذ ان التعليم لا يكون اجباريا الا فيما بين الخامسة والرابعة عشرة . ومع ان ٩٠ ٪ من ابناء نفس المنطقة يلتحقون بالمدارس الابتدائية، الا ان بعض هذه المدارس تتبع الكنائس، ومن ثم

فلا يمكن ان تتشابه هذه المدارس ومدارس اية منطقة اخرى . اما الـ ١٠٪ الباقون من ابنـاء المنطقة فيتعلمون فى المدارس الخـاصة على اختلاف انواعها .

ويعقد عادة امتحان للتلاميذ فيما بين الحادية عشرة والثانية عشرة من اعمـارهم، فيختـار الناجحون منهم ليوزعوا تبعـا لصلاحيتهم واستعدادهم، على المدارس الثانوية، التجارية والصناعية على ان هذا يجب ان يكون تبعا لرغبة الآباء الذين قد يفضلون ان يترك اولادهم المدرسة فى سن الرابعة عشرة . على ان الحرب الحاضرة، جعلت من المباح ترك المدرسة فى سن الخامسة عشرة .

ويوصى «هادو» و «اسبنس» فى تقريريهما بان تخصص فى التعليم فترة تتألف من اربع سنوات — عند سن الحادية عشرة، او بعدها — يباح فيهـا الدراسة لجميع الاطفال . ومع ان هذه الوصـاية لم تطبق بحذافيرها فى اية منطقة، الا ان كل المناطق اخذت تعمل على تنفيذها، لما لها من فائدة عظيمة، لا سيما وان الامة بأسرها، مقتنعة بفائدتها . وقد اصبح من الممكن الآن الحاق الاولاد بين سنى الحادية عشرة والخامسة عشرة، بمختلف المدارس المتوسطة Senior او الصناعية الابتدائية والتجارية الابتدائية، ومدارس الاعمال، ومختلف انواع المدارس الثانوية، رغم ان سن الالتحاق بهذه المدارس قد تختلف .

كذلك يمكن اليوم ان يدرب التلاميذ على الاعمال والمهن وان يعدوا للدراسة العليا فى جميع المدارس المتوسطة للبنين . كما انشئت اقسام للتجارة وصناعة المعادن والابحاث العلمية، وفروع البنات يتلقين فيها التدبير المنزلى فى برنامج يدرس لاربع سنوات . وكل هذه الاقسـام والفروع جهزت بكافة ما تحتاجه من الاجهزة والآلات والادوات . كذلك اصبحت توجد فى الريف مزارع مدرسية — حقول تجارب — وانشئت فى بعض المقاطعات مدرسة متوسطة، صارت جزءا من الآلة التى تدير التعليم فيها، وتعرف باسم «كلية القرية» .

ومن ثم اصبحت المدارس المتوسطة تضم الاولاد الذين لم يلتحقوا بالمدارس الثانوية، او بأى مدارس اخرى من درجتها اى انها تضم على الاقل اربعة اخماس مجموع التلاميذ . وتؤسس هذه المدارس بحيث يكون لكل مدينة ثلاث او اربع منها وبحيث يكون لكل تسع او عشر قرى مدرسة . وهكذا تسعى المدارس المتوسطة — او كليات القرى كما تسمى — لان تصبح مراكز تعليمية وتثقيفية عامة . وتهيئ هذه المدارس لتلاميذها ما يحتاجون اليه من معامل للتجارب العلمية ومن قاعات للمحاضرات، وملاعب للرياضة واحواض للسباحة وحمامات، اذ انها تضم الى ابنيتها كثيرا من الحجرات الاضافية المنفصلة فتجتمع فيها لجان الموسيقى والتمثيل والمحاورة كما تخصص منها حجرات لمنتديات للفلاحين، وفصول لتعليم العمال .

والى جانب هذا، رؤى ان تكون المكتبة والمقصف بكل مدرسة وسيلتين لجعل المدرسة المتوسطة وسطا اجتماعيا . على ان هذا لم يقتصر على مدارس الريف فقط، بل انه اتبع فى المدارس الحديثة فى المدن ايضا، وتتجه الجهود الى التوسع فيه مع ادخال التحسينات باستمرار . كذلك ينتظر ان تؤسس فى كل مدرسة عيادة طبية، ومكتب يتولى السعى لتوظيف الطلاب عند تخرجهم كما ينتظر ان تعم المزارع المدرسية وساحات الالعاب الرياضية .

ويوجد الآن فى كل مدرسة ابتدائية مكتب صحى يتولى فحص كل تلميذ ثلاث مرات على الاقل خلال الدراسة فى مراحل العمر بين ٥ و ١٤ أو ١٥ أو ١٦ اى خلال فترة التعليم الالزامى وتستخدم كل هيئة اطباء باطنيين واطباء للاسنان وممرضات واخصائيين ممن يعملون فى مكافحة الامراض من ثلاثين عاما . وقد اجمع هؤلاء على وجوب تقديم اللبن الحليب والغذاء مجانا للاطفال وقد زادت الحرب من هذه الجهود التى تبذل لتحسين حال المدارس وتلاميذها، فضلا عما ينتظر لها من اطراد فى المستقبل .

ولكل هيئة للتعليم مدرسون اعدوا ودربوا خصيصا، ليلقنوا الاولاد اصول الرياضة البدنية والالعاب النظامية والرقص . وتتعاون مكاتب صحة المدارس مع هؤلاء المعلمين لتحسين صحة الاولاد وازالة بعض العاهات التى قد توجد باجسامهم .

وقد ازدادت اهمية الرياضة البدنية وأثمرت ثمارا حسنة، ولا سيما فى المدارس الثانوية والجامعات وهيئات الشباب . وقد بدأ الجميع يدركون آثار جهود اللورد بادن باول، وكلية الرياضة البدنية النسوية، وقد ظهرت الفوائد التى عادت من الاهتمام بالرياضة فى الحرب الحاضرة حيث يحتاج السلاح الجوى الى الشباب الرياضى، اذ انخرط ربع الشباب فى سلك التدريب للالتحاق بالسلاح اذ ان الرياضة البدنية من اهم اجزاء برنامجه التدريبى .

ومع ذلك فان الهيئات التعليمية المحلية لم تؤد كل ما يجب عليها بما اقدمت عليه من فتح مدارس الاطفال والمدارس الابتدائية التى تضم الاولاد فيما بين الخامسة والحادية عشرة من العمر، وبما انشأت من المؤسسات الصحية والرياضية فى المدارس، وبما نظمته لتقديم الغذاء للتلاميذ . لم تؤد تلك الهيئات كل ما يجب عليها، بل كان من اللازم ان تقوم ايضا بادارة المدارس الثانوية والصناعية ومراكز الشباب والمدارس المسائية التى ترتبط بالجامعات والمؤسسات المخصصة لتعليم البالغين . فهذا العمل كله يقع على لجان التعليم العالى التى تعد من فروعها . ولا ريب ان الآباء يتأثرون عند تخير المدرسة التى يلحقون بها ابناؤهم بما هم عليه من حالة مالية، ولذا فستعمل هذه الهيئات فى المستقبل على تلافى هذه العوائق وعلى الحاق التلميذ بالمدرسة التى تلائم استعداده .

وتؤهل المدارس الثانوية طلابها لنيل الشهادة التى تعد كجواز يمكنهم من الالتحاق بالمدارس الاعلى درجة ومع ذلك فان ١٠ فى المائة من التلاميذ يدخلون المدرسة الثانوية فقط كما ان ١٠ فى المائة هم الذين يلتحقون بالجامعات بعد سن السادسة عشرة ويتخرجون فيها . وقد ازدادت

اهمية السنة السادسة من سنى الدراسة الثانوية . وتعد المدارس الثانوية مسرحا لكثير من النشاط الرياضى لا سيما وان انكلترا بلد يتعشق اهله الرياضة . ولذا نجد فى كثير من هذه المدارس جماعات للكشافة والمرشدات . كذلك هى مجال لكثير من نواحى النشاط المدرسى حيث يوجه التلاميذ لعمل الأشياء النادرة لمتحف التاريخ الطبيعى او الميكانيكى او لمعارض الفنون الأخرى . كما توجد فى المدارس الثانوية جماعات ومنتديات متباينة لتشجيع الاقدام وحب الزعامة بين الطلاب . وتتاح للمتفوقين والموهوبين فى هذه الجماعات فرصة الاعداد للتخصص فى الاجتماع، او الدراسات العلمية او التبحر فى اللغات الاجنبية . فاذا بلغ التلميذ السنة الدراسية الأخيرة برزت ميزاته الثقافية ومؤهلاته ومقدرته الذهنية نظرا لاهمية هذه التجارب للاولاد والبنات الذين يلتحقون بالجامعات الانكليزية . فقد وضعتها الهيئات المحلية فى مقدمة الموضوعات التى تهتم بدراستها وبحثها ورأت ان تقتصد الاموال اللازمة لانشاء جامعة للعناية بهذا البحث وتلك الدراسة المعلقين بهذه التجارب .

فصل مدرسى فى أثناء دراسة علم الجغرافية بمدرسة ويغان الثانوية .





تلاميذ من مدرسة تشلتنهام الثانوية وهم يذاكرون .

وينجح فى امتحانات الانتقال من المدرسة الابتدائية للجامعة خمسة ى الالف عادة يتوقف بعضهم عن متابعة الدراسة فيما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة من اعمارهم ويعمدون الى العمل لكسب قوتهم بطريقة من ١٬٦٠٠ طريقة يجدونها امامهم . وهؤلاء ايضا يخصص جزء من اوقاتهم لدراسة المسائية . وهناك نظام هام جدا تنحو اليه المؤسسات الصناعية والتجارية لرفع مستوى هؤلاء فى الحرفة التى يزاولونها، اذ يعد لهم دراسات راتية تتولاها جماعات متطوعة للخدمة العامة . ولا تفتتح لذلك مدارس خاصة وانما تستخدم لها المدارس النهارية، ما دامت لا تلقى فيها الدروس ى الليل . ومع ان جماعات الشباب تعمل يدا بيد مع هؤلاء المتطوعين فيما يتعلق بالرياضة البدنية الا انها مخولة انشاء المعسكرات والساحات رياضية وتنظيم المحاضرات التى تتناول الدروس التى حرم منها العمال باضطرارهم لهجر مقاعد الدراسة . وهذه الحركة تزداد اتساعا فى هذه الايام .

اما فى ميدان التعليم الصناعى، فتهتم هيئات التعليم المحلية فى المناطق الصناعية — امثال ستوك وشيفيلد ومنشستر — بالصناعات المحلية، فتنشئ فى الجامعات فصولا خاصة — فضلا عما بها من دراسات صناعية عامة — للبحوث الصناعية المحلية، كصناعة الخزف والفولاذ والقطن . ويتولى التدريس فى هذه الفصول عادة خليط من معلمى الصناعة والصناع المحليين. وبعض الشركات تنشئ مدارس مستمرة، تتلقى المساعدات من الهيئات المحلية .

ولقد درست المبادئ التى تقوم عليها هذه الفصول الدراسية دراسة تامة، الا ان الحكومة لم تمدها بما يلزمها من المال واذا اريد لها ان تدوم وتؤتى بفائدة فلا بد لوزارة المعارف من انّ تضطرها الى العمل جميعا دون تقاعس لا سيما وانها تضم اكثر من مليون طالب . كما تملك الهيئات المحلية مدارس لضعاف العقول والابدان ومدارس — تعقد فى الهواء الطلق — للمرضى، ومدارس للعميان، كما تتولى تأسيس المكتبات والمتاحف . ومن ثم فليس ثمة منصب اثقل عبئا واخطر مسؤولية من منصب مدير المعارف فى المنطقة .

. . . .

هذا موجز عن نظام التعليم فى انكلترا، وعن تطوره، وعنينا فيه بان نبين مدى اهتمام الأمة الانكليزية بأسرها بمشكلة التعليم . وليست بنا حاجة لان نذكر ان الشعب الذى يملك هذه الامبراطورية العظيمة، شعب درس وتثقف ثقافة ممتازة، ولذا فلا بد ان نظام التعليم الانكليزى هو ارقى نظم التعليم، وهذه الحرب خير شاهد على ذلك، فقد وجدنا الثقافة والاخلاق الانكليزية تتغلب على جميع العقبات والصعاب، مما يضمن خروج هذا الشعب من هذه الحرب منصورا ظافرا، ليوطد دعائم السلم والحرية والديمواقراطية .

عبد الله محي الدين
مدير معارف المنطقة الشمالية

الموصل

الثقافة العربية

صادرها واطوارها وخصائصها العامة

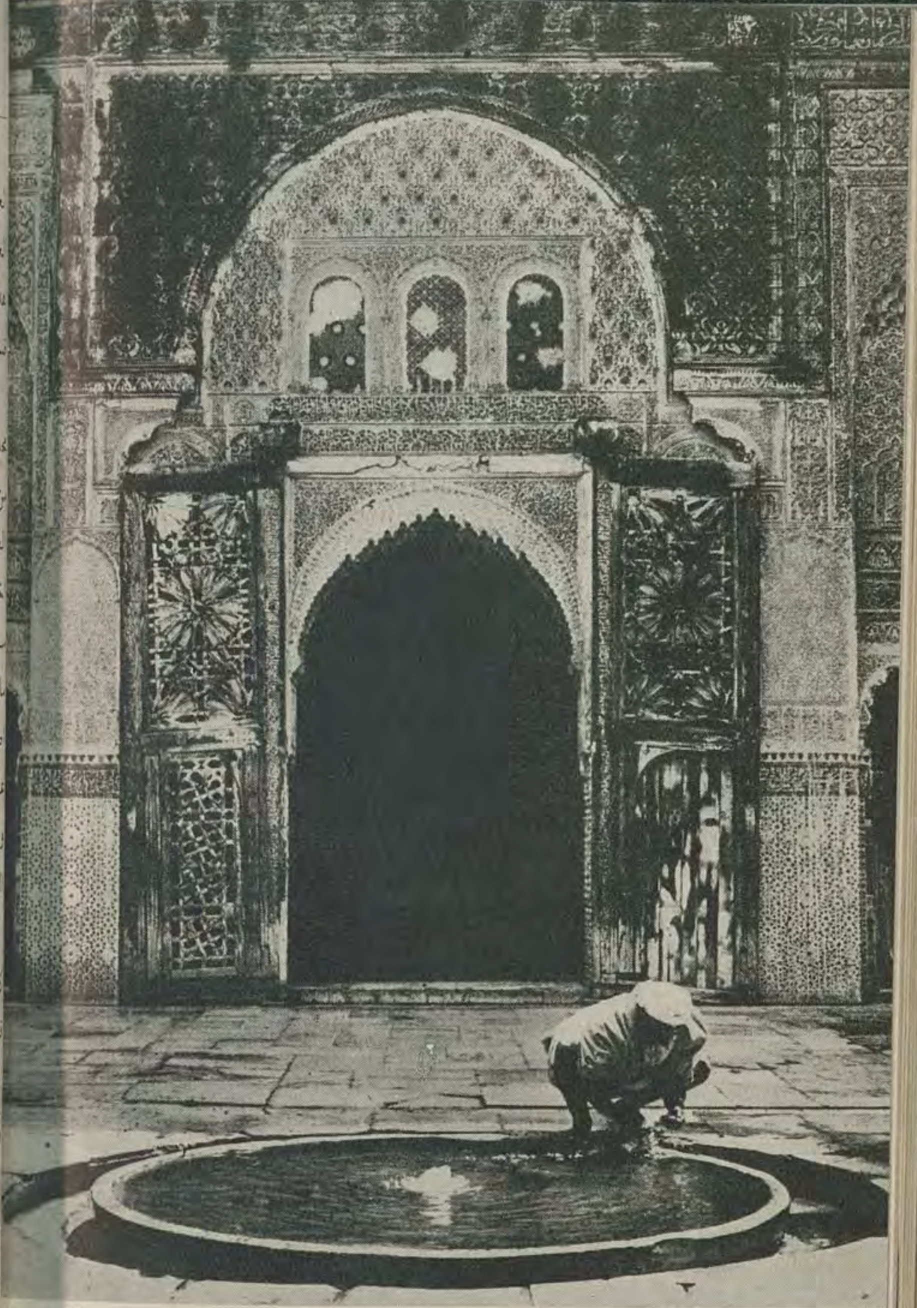
بقلم عمر فروخ دكتور فى الفلسفة

لم تهاجم ثقافة قط بمثل العنف الذى هوجمت به الثقافة العربية .
ان الثقافة الصينية او الهندوكية او البهلوية قد خضعت بلا ريب
لنقد ربما كان قاسيا ، ولكن الثقافة العربية وحدها منيت بالهجمات
المتتالية على ايدى كتاب يتمتعون بنفوذ واسع لدى سواد القراء
الاوروبيين . ولقد كان لموقف هؤلاء الكتاب نتيجتان : ميل عن الثقافة
العربية ، وجهل نسبى ، بالاضافة الى مجموع القراء الاوروبيين ، لما فى الثقافة
العربية من قيمة ذاتية ولما للعرب انفسهم من اياد بيض على الثقافة عامة .

وكان مما شغلنى فى السنوات العشر التى خلت ان ابحث عن الاسباب
الحقيقية التى تحمل الغربيين عموما على بخس الثقافة العربية حقها وعلى
الوقوف منها موقفا مريبا . ولقد وضح لى بقليل من العناء والمطالعة ان
اكثر الذين هاجموا الثقافة العربية كانوا بشكل من الاشكال او على
صورة من الصور غير ملمين بالموضوع تمام الالمام ، وانه لمن دواعى الاسف
الحقيقى ان امثال هؤلاء يتمتعون باعجاب قراء كثيرين ، وانهم
يوسعون الشقة بين الشرق والغرب ، ثم هم يساعدون على ازدياد سوء
التفاهم بين شباب العرب الذين اخذوا يستيقظون من سباتهم الماضى
وبين قادة الحركات الثقافية من الغربيين .

. . . .

وكما ان التهجئة فى اللغة الانكليزية متأثرة بالتطور التاريخى للكلمات
الانكليزية اكثر من اعتمادها على لفظ تلك الكلمات فى ايامنا هذه ، فان
الثقافة العربية ايضا خاضعة لعوامل تاريخية اكثر من خضوعها للاحوال
المسيطرة على حاضرها .



مراكشى يتوضأ فى فناء الفسقية بمدرسة «أبو عنانى» . وقد بنيت هذه الساح
الجميلة بين سنتى ١٣٥٠ و ١٣٥٥ .

ان للثقافة العربية خمسة مصادر : الجاهلية والاسلام وعصر القومية
عربية فى الدولة الاموية وعصر التقدم العلمى فى الدولة العباسية، ثم
عصر الاندلسى . ولكن هنالك مصادر فرعية أخر يمكن ان تضاف الى
هذه التى سبق فعددناها ، وهى تتناول جميع البلاد وجميع الثقافات التى
مسها العالم الاسلامى فى جميع عصوره .

على ان هذه المصادر الفرعية قد اثرت فى الثقافة العربية تأثيرا
محدودا فقط . واحب هنا ان استشهد بوجهين مختلفين من وجوهها كلها .
ن هذه الاوجه ما هو فطرى كالاعتقاد الفينيقى الذى لا يزال شائعا بين
عامة وغير العامة : اذا هل الشهر القمرى ورأى الناس الهلال الجديد
خرجوا من جيوبهم قطعا من العملة فقبلوها او نظروا اليها فقط، وكثيرا
ا تمتموا باماني مختلفة او نطقوا بدعوات طيبة . ومن هذه الاوجه
ا هو ذو مرتبة عالية فى سلم التفكير البشرى : هنالك آراء ترجع فى
صلها الى الشرق الاقصى من الصين او الهند او فارس القديمة تطلع
عليك من بعض القصائد العباسية خاصة . الا ان هذه التقاليد المفردة
والآراء الغريبة محصورة فى طبقة خاصة من الناس او فى دواوين بعض
شعراء واقوال بعض المتصوفين .

اما اذا اتينا الى المصادر الرئيسية نفسها فاننا نجد ان المصدر، كلما
كان اقدم كان تأثيره اشد وابرز . وها هى المصادر الخمسة منسوقة حسب
قدمها واهميتها معا :

ا - الجاهلية : كان العصر الجاهلى قبل الاسلام عصر الفروسية
والشجاعة والمغامرات : لقد كان عصر الابطال والشعراء . ومن هذا
لعصر ايضا ورث العرب لغة كانت ترجع يومذاك الى ما قبل الفى عام
على الاقل، اذ اننا عرفنا اللغة العربية اول ما عرفناها، فى القرن الخامس
للميلاد ، تامة فى الفاظها وصيغها وصرفها ونحوها واوزانها وفى قوة
لتعبير بها . تلك اللغة لم تزل بخصائصها الجاهلية من كلمات واحكام
صرف ونحو وتركيب لغة الكتابة فى كل صقع نزله العرب فكانوا فيه قطانا

او مهاجرين الى حين. وعلى الرغم من ان لكل صقع عربى لهجة يتكلمها اهله، فان اهالى الاصقاع المختلفة يتفاهمون بلغة الكتابة اذا تحدثوا ويفهمونها اذا قرئت عليهم ولو كانوا اميين.

ومع اللغة حتما، يسير الادب جنبا الى جنب .ان روائع الادب الجاهلى لا تزال سائرة شائعة الى يومنا الحاضر، لا فى مجاميع الشعر والنثر ولا بين الادباء فحسب، بل فى الكتب المدرسية الابتدائية وبين بعض العامة.

ولقد تركت الجاهلية فى العرب الفخر والعصبية وحب المغامرات. وتركت فيهم فوق ذلك مثلا عليا فى الضيافة والحفاظ والشرف والوفاء تتفق تماما مع ما عرفه الجاهليون. ولا تزال هذه المثل العليا حية فى اقصى القرى المتغلغلة فى تخوم آسيا الصغرى وفى اصغر الواحات الضائعة فى رمال الصحراء الافريقية الكبرى. ان تلك المثل العليا قد سارت وراء اللغة الى كل منزل ومستقر.

٢ — الاسلام : لقد حمى الاسلام اللغة العربية وحمى الامة العربية ذلك لانه كان اقوى حرز تحرزت به امة من الامم. والاسلام لم يفاجئ العرب ولم يأتهم من مكان بعيد، بل نبع على عكس ذلك كله فيهم، وكان تنظيما لقواهم المشتتة وتنسيقا لاستعدادهم المتنافر. وقد حررهم من الوثنية التى كانت اجنبية عن بلاد العرب وعن العرب انفسهم، وحرر بلاد العرب، والعرب انفسهم فيما بعد، من السلطان الاجنبى. ان العرب لما هزموا الفرس فى معركة ذى قار قبيل الدعوة او حولها (٦١٠—٦١١ م) ووصل الخبر الى الرسول اهتز الرسول لذلك وقال : «هذا اول يوم اخذ فيه العرب من الفرس بحق».

وتطور الاسلام كذلك تدريجيا ليوافق حاجات العرب فى عهد يقظتهم الروحية. وكان الاسلام للعرب فوق ذلك عقيدة وقومية ونظاما اجتماعيا، فساعد على توحيدهم وعلى خلق شخصيتهم التاريخية. ولقد تقبل الاسلام كثيرا من عادات العرب الاولى بعد تحوير قليل او كثير فيها، فان الحج مثلا قد تحول من زيارة للاصنام الى اجتماع اسلامى عظيم يأتيه

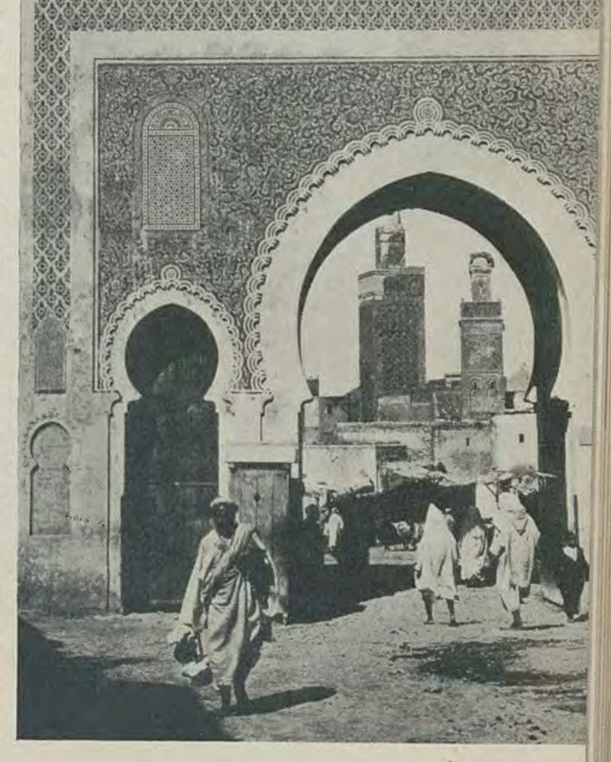


ل المسجد الأعظم بالقيروان، بتخطيطه الجميل، الذى يدل على التناسق
يب فى تخطيط بنائه .

سلمون من كل صقع وقطر . وعالج الاسلام ايضا حب القتال فى نفوس
لعرب حتى تمكن من ان يؤلف بين قلوبهم وينسيهم احقادهم ثم يوحد
جهودهم فى سبيل قتال اعدائهم، فتغلبوا حينئذ على الفرس والروم
واجتاحوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية فى اقل من قرن واحد .
وهكذا اصبح الاسلام ركنا فى حياة العرب اليومية وجزءا اساسيا من
ثقافتهم العامة .

والى جانب القضايا الاعتقادية الفلسفية كالتوحيد المطلق والايمان
بالقضاء والقدر وبخلود النفس وبالبعث، برزت قضايا واقعية عملية اهمها
توحيد السلطتين الدينية والدنيوية فى الرسول ثم فى خلفائه من بعده .
ومن هذه القضايا ايضا نظام الزكاة ونظام الزواج والطلاق والارث

ونظرية الحرب : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم – وان جنحوا للسلم فاجنح لها – ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» الى غير ذلك من النظم الاجتماعية الضرورية فى الحياة . من اجل ذلك لم يكن الاسلام للعرب عقيدة يعتنقونها فحسب، بل كان الحياة العربية نفسها مضافا اليها حسن التطور وعنصر التحسين والتنظيم .



توضح هذه البوابة المحفورة حفرا بديعا – بوابة بو جلود – بفاس ما كان للمهندسين المعماريين والنقاشين العرب من مهارة رائعة فى النقش قديما .

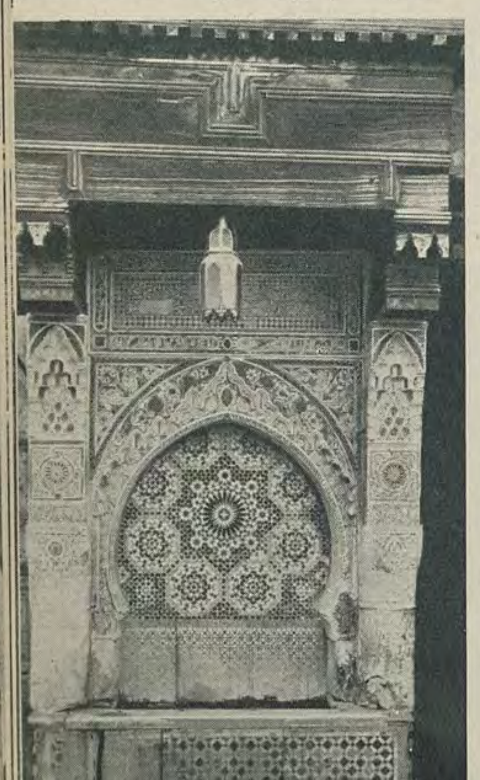
٣–عصر الدولة الاموية :

هذا العهد الذى امتد نحو قرن كامل (٤٠–١٣٢ ﻫ ٦٦٠–٧٥٠ م) كان عهد الامبرطورية العربية. ان جميع الفتوح المهمة من تخوم الصين الى شواطئ افريقية واوروبة على الاطلنطيق قد تمت فى هذا العهد. وكذلك تنظيم الدولة اكتمل فى هذه الحقبة ايضا . ولكن اعظم من هذا كله كان تعريب الامبرطورية . لقد اقتنع الامويون منذ ان اطمأنوا على خلافتهم بان يكون للعرب سكة (عملة) قومية، وبان تصبح اللغة العربية لغة الدولة . ان سجلات الحكومة ظلت الى ذلك الحين تكتب بالفارسية او الرومية او القبطية (فى فارس

والعراق او فى سورية او فى مصر) . وبما ان العرب لم يكن لهم سكة خاصة بهم فقد كانت العملة الرومية او الفارسية هى العملة الرائجة فى جميع الامبرطورية حتى فى سورية مقر حكومة الامويين، وفى بلاد العرب نفسها مهد الدعوة الاسلامية وينبوع القومية العربية . فلما قلبت الدواوين (سجلات الحكومة) خاصة من الفارسية والرومية والقبطية، لم تبق الثقافة العربية ثقافة طبقة مخصوصة من الناس ولا ثقافة جنس واحد من الاجناس، بل اصبحت ثقافة كل طبقة وكل جنس فى تلك الامبرطورية الواسعة . ومع ان هذه الثقافة قد استمدت اشياء من الشعوب اصحاب المدنيات القديمة فان خصائصها القومية ظلت الخصائص المطلقة المسيطرة .

فى هذا الدور ثبتت الناحية القومية من الثقافة العربية .

٤- عصر الدولة العباسية: ان القرون الخمسة (١٣٢–٦٤٨ هـ ٧٥٠–١٢٥٠ م) التى كانت بغداد فى اثنائها المركز الحقيقى او الاسمى للعالم الاسلامى، شهدت الثقافة الاسلامية فى ذروتها . ان التقدم الادبى والرقى العلمى والتطور العقلى هى التى خلقت خصائص هذا الدور المزدهر فى تاريخ العرب والاسلام، فمذاهب الفكر، الفارسية والهندية منها ثم اليونانية على الاخص، كانت موضوع درس وموازنة وكانت، الى حد ما، موضوع نقد عاقل، وان الثقة المطلقة التى تمتع بها ارسطو فى اوروبة الى اواسط القرن السادس عشر قد تزعزعت فى بغداد قبل ان ينتصف القرن التاسع .



فسقية النجارين المنقوشة نقشا بديعا بفاس

والعرب لم يأخذوا بجميع المذاهب الفلسفية مرة واحدة، بل كانوا يختارون من المذاهب كلها وكانوا اذا وجدوا مذهبا غامضا او قاصرا جلوه بالتفسير والشرح او اتموا ما فيه من القصور والنقصان . وهكذا دخلت هذه المذاهب الفلسفية اجمالا فى نسيج الثقافة العربية . وليس من الانصاف لهذه الثقافة فى شىء ان نصغى الى التهمة التى تزعم ان العرب «استعاروا» الفلسفة من اليونان، ان التفكير العربى قد تنبه بعوامل من الفلسفة اليونانية، كما تنبه التفكير اليونانى نفسه من قبل بعد ان احتك بالحكمة الشرقية واطلع على علوم اهل الشرق .

٥ — عصر الاندلس : هذا العهد، الذى يتفق فى الزمن مع العهد العباسى تقريبا، خلع على الثقافة العربية زخرفها ورونقها . ومع ان هذا الدور كان تطورا من الدور الذى سبقه او تقليداً له على الاصح، فانه ساعد على صقل الثقافة العربية : ان الشعر بلغ فى الاندلس حد الكمال، والعلم والفلسفة بلغ بهما الاندلسيون الذروة . اما الفلسفة الخالصة فقد اكتسبت ثمت خصائصها الاثباتية والطبيعية والعقلية المطلقة . واما فن البناء والنقش وصناعة تجليد الكتب وما اليها كلها

جامع الكاظمين التام التناسق والمنقوش نقشا جميلا، ببغداد .







اليمين : ساحة منزل جمال الدين المبنى فى سنة ١٦٣٧، بالقاهرة .
اليسار : جامع مرجم وهو قائم فى وسط بغداد .

فانها اشهر من ان اتناول عليها الكلام هنا .

ليس من الغريب ان تكون ثقافتنا العربية نتاج الاعصر الغابرة ، ولكن الغريب ان يقف تقدمها فى زمن متوغل فى القدم. على اننا نحن اليوم نجهد لنحيي هذه الثقافة القديمة: اننا نتطلع الى يقظة عامة. ان تلك الثقافة، التى حملت العرب الى العظمة والمجد من قبل، تستطيع ان تحملهم مرة ثانية الى العظمة والمجد .

ثم ان اصرارنا على احياء «ثقافتنا» القديمة لا يعنى اننا نبرأ من «المدنية» الحديثة . نحن العرب احق الناس اليوم بالاستفادة من المدنية الغربية، بالاستفادة من مكتشفاتها ومخترعاتها حتى نستطيع ان نساير العالم فنساعد على الوصول بالانسانية الى هدفها الاسمى . ولكن هذا الهدف لا يمكن ان يتحقق ابدا ما لم تقف الشعوب الغربية من ثقافتنا موقفا اكثر يسرا ولينا، وما لم تقدر تلك الشعوب القيمة الذاتية فى ثقافتنا حق قدرها، وتقدر الجهود الحقيقية التى بذلها العرب فى سبيل الثقافة العامة . يجب ان نوفر على العالم شيئا من العناء .

شعراء انجلترا المعاصرون

٢ - والتر دى لامار

فى المقال الأول من هذه السلسلة التى هى بمثابة مقدمة بدائية لتاريخ الشعر الانجليزى المعاصر، تحدثنا عن شخصية شاعر الملك، جون ميسفيلد وعن شعره، وقد رأينا أنه كان فوق كل شيء شاعر البحر، وأنه عبر عن روح بريطانيا من ناحية تشوقها إلى المجازفة الجريئة والبسالة البالغة التى تحملها عبر بحار العالم النائية دائبة التطلع إلى الأفق البعيد ولكنها لا تبلغه، لاقية فى هذا المطلب الدائب شدائد ومسرات تفوق حد التعبير. وأما فى مقالنا الثانى هذا فنختار رجلا ذا شخصية وميول من نوع شديد الاختلاف، فهو وإن لم يغفل عن بريطانيا عبر البحار فقد جعل مقصده فوق كل شيء أن يعبر عن بريطانيا فى الجزر البريطانية نفسها، وبخاصة بريطانيا فى الريف الانجليزى والمدن الانجليزية.

ولد والتر دى لا مار فى قرية بمقاطعة كنت فى انجلترا فى اليوم الخامس والعشرين من ابريل ١٨٧٣، وهو كما يدل اسمه سليل للأسرة الفرنسية الهيجونوتية المشهورة أسرة دى لا مار التى لجأت مع أسر فرنسية كثيرة أخرى إلى بريطانيا محتمية بها من الاضطهاد السياسى منذ أجيال كثيرة مضت. هذه الذرية الهيجونوتية قد برزت فى كثير من ميادين النشاط فى البلد الجديد الذى اتخذوه وطنا لهم، فلم يضع هباء ما أسبغته عليهم بريطانيا من كرم الضيافة وما تظل تسبغه على اللاجئين الموهوبين الذين يفرون من الظلم والجور فى القارة الأوربية.

وبعد أن قضى دى لا مار مدة قصيرة يتعلم فى مدرسة المرتلين بكتدرائية القديس بولص انخرط فى سلك الخدمة بشركة الزيت الانجلو امريكانية ككاتب حسابات واحصائى. وربما يظن أن هذا النوع من العمل ليس وسطا صالحا يشجع على النشاط الأدبى، ولكن كثيرا ما حدث

فى تاريخ الأدب الانجليزى أن الخدمة فى إدارات مملة مسئمة وراء مكاتب يعلوها التراب والغبار قد أذكت لهيب العبقرية ولم تخمده، ولنضرب لذلك مثلا واحدا هو تشارلز لامب أعظم الأدباء الانجليز من كتاب المقالات كان مستخدما فى شركة الهند الشرقية ككاتب فى مكتبها بلندن ولكنه مع ذلك خلق من خياله الدقيق المرهف عالماً متألقا منوعا من الكلمات السحرية التى أطربت أجيالا متعاقبة من القراء!

بدأ دى لا مار ينشر تآليفه فى سنة ١٨٩٥ وسرعان ما رسخت قدمه كأحد الشعراء والكتاب الذين يبشرون بأبهر مستقبل. ومنذ ذاك ألف كثيرا من الروايات والقصص القصيرة والمقالات إلى جانب الشعر الذى نراجعه فى مقالنا هذا. ويتميز كل ما ألفه بأسلوب فائق ممتاز وبتخير دقيق منفرد للألفاظ ويتميز فوق كل شىء ببعد النظرة الشاعرية وبادراكه لعالم الغموض والأسرار المتجاوز لعالم العقول العادى. ولعله ليس من المبالغة أن يعد هذا العنصر التصوفى راجعا إلى أصله الكلتى. لأن الكلت فى فرنسا وولاية ويلز وايرلندا يتميزون بما يسمى (البصر الثانى).

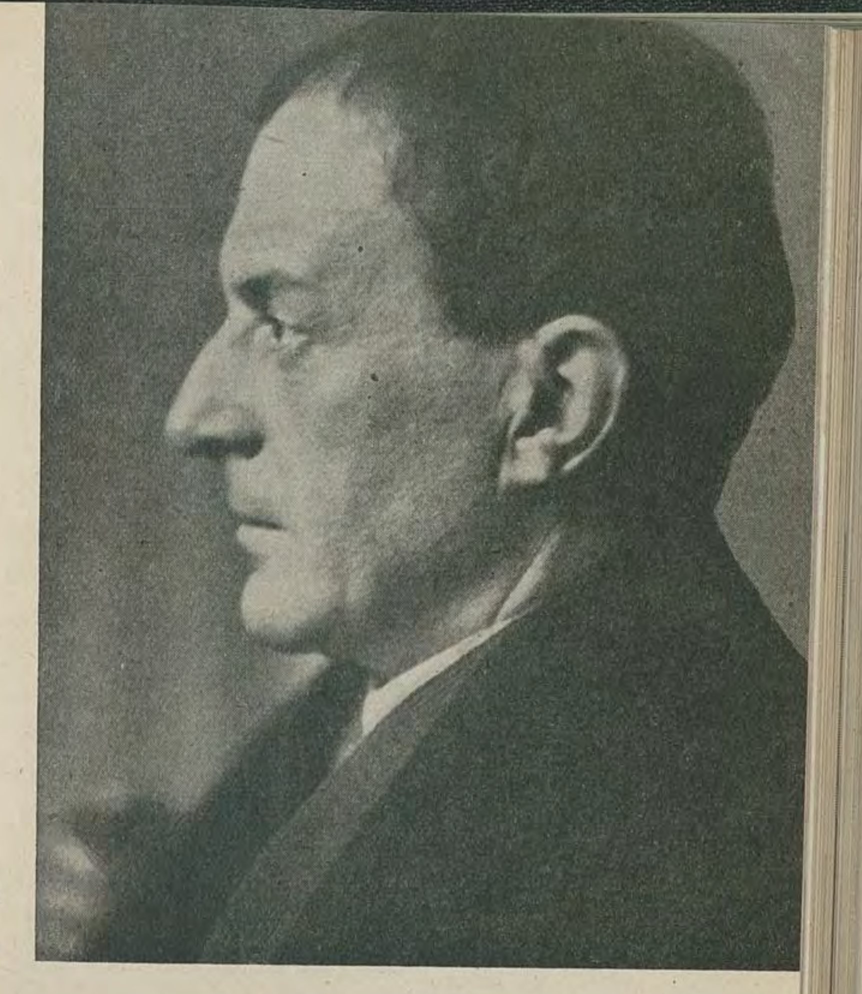
هذه الميزة العجيبة تتخلل شعره بأكمله، ولكى نتفهم هذا ندرس قصيدة من أشهر قصائده وهى (المستمعون) :

«هل هنا أحد؟» هكذا قال المسافر

طارقا الباب الذى يكسوه ضياء القمر؛



منظر صميم لطريق قروى فى المقاطعة الغربية بانكلترة.



ولتر
دى لا
مار.

وحصانه فى السكون المخيم يمضغ الأعشاب
على التربة السرخسية للغابة :
وطار من البرج طائر
حلق فوق رأس المسافر
فطرق الباب طرقة ثانية
وقال «هل هنا أحد؟»
ولكن أحدا لم ينزل إلى المسافر
ولا أطل عليه من افريز الشباك المكسو بالأوراق

ناظراً فى عينيه الرماديتين
وهو واقف فى حيرة وسكون .
ولكن حشدا من الأشباح المستمعة
التى كانت تسكن اذ ذاك فى البيت الموحش
وقفت متسمعة فى سكون ضياء القمر
ألى ذلك الصوت القادم من عالم البشر :
وقفت محتشدة فى أشعة القمر الضئيلة على الدرجة المظلمة
التى تؤدى إلى البهو المقفر فى أسفل الدار .
تستمع فى هواء يضطرب و يخفق
بنداء المسافر الوحيد .
فأحس فى قلبه بغرابتها
إذ جاوب سكونها صيحته
بينما تمشى حصانه يقضم الخميلة الداكنة
تحت قبة السماء المليئة بالنجوم والأوراق .

منظر لنهر لاغان فى إرلندة الشمالية .



فانه طرق الباب بغتة
طرقة أشد عنفا ورفع رأسه
وقال «خبروهم أنني جئت وما أجابني أحد
وأنني بررت بوعدي » .
ولكن المستمعين لم يصدروا أدنى حركة
برغم أن كل كلمة نطق بها
تردد صداها في ظلال البيت الصامت
صادرة من المرء الوحيد الذي بقي صاحيا :
نعم إنهم سمعوا قدمه على ركاب السرج
وصوت الحديد على الصخر
وكيف أن الصمت امتد الى الوراء رويداً
بعد ما انقطع صوت طرق الحوافر .

السكون المفعم بالأشباح، والظلال الحالكة، وضوء القمر الضئيل الباهت، وحياة الأموات المفقودة الشاحبة، تلك هي الصور التي يكرر الشاعر رسمها . فهو يعتقد أن الأموات ليسوا ساكنين في صمت القبر الخالد، ولا محلقين في أطباق السماء سماء الحياة اللانهائية . بل إنه يتبع أقدم العقائد الهوميرية فيصور الأموات كظلال عاجزة تعسة الحظ تحدق في صمت وجمود وشوق إلى دنيا الحياة البشرية التي لم يعد لها فيها نصيب . وهو يرى أن الحياة بكل مسراتها ولذائذها ليست إلا برهة عارضة قصيرة الأمد في الرحلة الخالدة الخطيرة المليئة بالاضطراب والثوران . وهكذا يقول في قصيدته (الطيف) :

في راحتيك سلام
وفي مقلتيك سلام
وفي جبينك سلام
يا زهرة لبرهة قصيرة من الساعة الخالدة الأزلية
سلام على الآن .



فى حديقة دفديل الوطنية .

سئيل
يكرر
القبر
إنه
الحظ
لها
برهة
طراب



ون ريفية فى واريكشير .

لم تضطرب موجة
ولا هتف طائر
قلبي مثل بحر
قد صمت وسكن بعد انقضاء عاصفة
ينام فى جوانحى .

كل قطرات ندى الليل
وكل أوراق أشجار الدنيا
وكل ثلوج الشتاء
تبدو ساكنة كأنها قد أخمدت فى حلم الحياة
كل الأحزان الآن .

وإذ كانت الحياة عرضا زائلا وكان الجمال مسرة لا يحصل عليها إلا لبرهة قصيرة من الزمن ينبغى على الانسان أن يتمتع بأكمل قدر يستطيعه بالمناظر الجميلة والأصوات المطربة من حوله . ففلسفة دى لا مار



موسم نوار الكريز فى مقاطعة كنت .

ع مذهب انتهاز اللذات اتباعا لا خفاء فيه، ولكنه انتهاز رفيع روحى
ام يتنزه عن تعقب اللذائذ لمجرد لذتها الهينة الذى يعبر عنه المثل :
Gather ye rose-buds while ye ma «اقطف أكمام الورد ما
ت قادرا . »

انظر إلى كل الأشياء الجميلة نظرتك الأخيرة
فى كل ساعة . ولا تدع ليلة واحدة
تختم على حسك بنعاس الموت
حتى تستمتع بكأس السرور المترعة
فان كل الأشياء التى تعجبك بجمالها
قد سلبت من أناس آخرين أحبوها
فى الأيام الخالية .

حقا إن الحياة مليئة بالمسرات العارضة والصور البديعة الحسن،
لكنها برغم ذلك لولا حقيقة الحب الخالدة الباقية لكانت بسبب عرضها
لفانى مأساة غلابة لا تحد .

أجلس وحيداً
فتدور بخلدى أفكار واضحة
صور قريبة تارة وطوراً بعيدة
صور الخيال الجامح الفانى
أنا سعيد قرير العين
فى خلوتى ووحدتى .
ولكن الحياة شىء رهيب
حالكة بالرعب والمخاوف
بنان الحسن تبرد حرارته
وأسمع صيحات حزينة
والموت بسيماه الصخرية
قريب قريب . . . .

الحب وحده يقدر أن يستنقذ
هذه الحقيقة وتلك المسرات
وأن يستعيد الصبح مزدهرا من جديد
من الليل الذى أنهكه الداء العياء
وأن يعيد الموجود إلى المفقود
ويعيد البصر إلى من عمى .

ومن تلك «الصور القريبة تارة والبعيدة تارة أخرى» التى تدور بخلد الشاعر صورة تتكرر فى الأدب الانجليزى تكررا عجيبا، فهى نتاج للوشائج القديمة القوية بين بريطانيا والشرق، تلك هى صورة مثالية لجزيرة العرب، مفعمة بجمال سماوى وسحر أخروى :

بعيدة هى ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى الهاجرة
خلال الأودية المخضرة والأجمات اليانعة
تحت طيف القمر
وتلك القبة الزرقاء شديدة الحلكة
والأزهار تنبت فى الغابة
وتنشق أكمامها على النجوم الضئيلة
الباهتة فى سماء الظهيرة .

حلوة هى أنغام جزيرة العرب
حلوة فى قلبى حين أتبينها فى أحلامى
وأتبين ينابيعها المتدفقة فى شفق الفجر الضعيف
وأسمع ألحانها الغريبة على الضفاف الخضراء
ترن رنيناً بالأسى وبالسرور
من المغنين ذوى الأردية الحريرية القاتمة والشعر الأسود الحالك
فى سكون الليل المخيم المطبق .



خلد
ائج
يرة

مناظر صميمة للريف
يزى توضح جمال الريف
ة والسكة، والوديان
ل المحروثة .

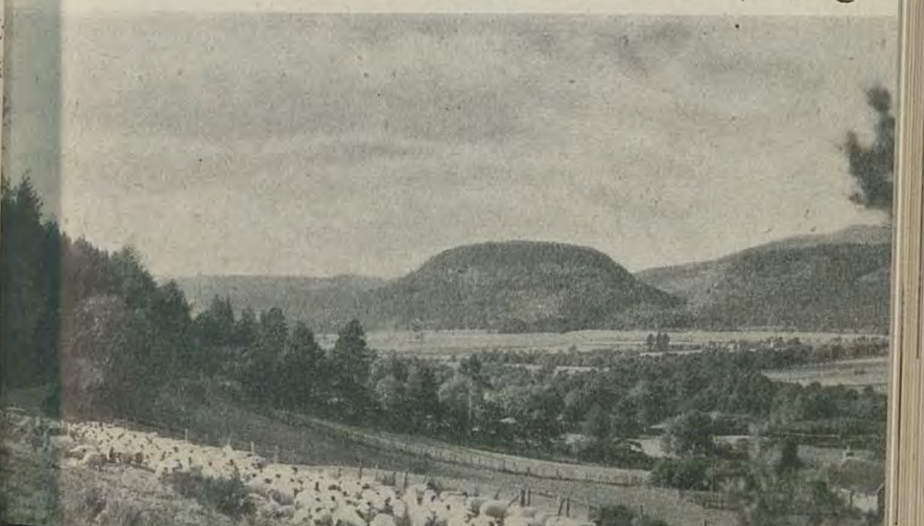
ت

إنها تعتادنى، أنغامها وغاباتها
لست أرى على وجه الأرض جمالا
إلا وقد ظللته أحلامى بما تستعيد
من جمالها وإبداعها إلى مخيلتى
ولكن أناساً لا يزالون يرمقوننى شزرا
ويهمسون فى صوت جاف قائلين :
«إنه معتوه بحب جزيرة العرب النائية
لقد سلبته لبه وجنانه » .

ولكن ما يسحر لب الشاعر أكثر من أى شىء آخر إنما هى مناظر وطنه انجلترا وأصواتها . وليس هناك شاعر فاق دى لا مار فى جودة وصفه للريف الانجليزى، فوصفه ينبض بما يكنه الشاعر الوطنى لبلاده من حب حار مبرح ولكنه حب طبيعى معقول .

ليس هناك من تلال أبدع حسنا من تلالك
أراحت همومى وأفكارى
وليس من وديان تفوق وديانك الرائعة الهادئة
التى ملأت صدرى بالهدوء والسكون .

قطيع من غنم صعيد اسكتلاندة على طريق بالاتر ـ أبوين.



فلك الغابات التى تفر اليها روحى
فى وقت وهج الهاجرة
تفر إلى ملجأ مخضر منعش
هادئ هدوء الحلم .

وبحارك المائجة المزبدة تدوى كالأبواق
وسحائبك ما أكثر ما راقبتها
وأبراجها المضيئة تتسلل فى سكون
إلى عالم اللانهائية !

إن قلبى ليصعق فى جوانحى
إذا شرد بعيدا عنك فى مجرد التفكير
فليكن منك لحدى الذى إليه آوى
وليكن ظلامك ظلامى الأخير .

والتر دى لا مار، ذلك الشاعر الذى نشر ديوان قصائده حديثا على
الناشرين فابر وفابر، يخاطب عصرنا الملىء بالأسى بهذه الرسالة البينة،
الحب والجمال يعلوان على كل أحزان هذه الدنيا العارضة الزائلة
ى كتب فيها الموت على الجميع، والحب والجمال يؤججان قبسا خالداً
السعادة الباقية، السعادة التى تنتشل الروح المضناة التى أنهكها
تال من عالم الفناء إلى السرور الدائم وسهوله الضاحية .

أيها القلب الفانى الذى يستطيع برغم فنائه
أن يخفق إلى عالم المجهول خفقات الثناء والاكبار
والذى يستطيع فى الينابيع المتدفقة فى العلياء
أن يرشف الحب الحلو الذى ينعش الفؤاد !

أ . ج . أ .

★

المدينة المحرمة

بقلم ستابلتون تروويل

لا شيء يحث الانسان على مضاعفة جهده حث السدود والعراقيل فى طريقه ولا شيء يرهف عزمه ويلهب تصميمه على تحقيق مثله العليا وإدراك هدفه المقصود مثل الشيء الذى لا ينال. وإنما يزيد الاخفاق عزيمة الناس قوة وإرهافا، وإذا أردت مثلا لهذا العزم المصمم الذى يقهر الاخفاق ويحيله فوزا باهرا فاليك مغامرات تلك المستكشفة الباسلة مدام الكساندريا دافيد نيل التى قامت بمحاولات أربع فاشلة لاختراق أرض التبت المجهولة وفى كل من هذه المحاولات الأربع صدتها السلطات وأرجعتها عن تلك البلاد المحرمة على الأجانب، ولكنها فى محاولتها الخامسة فازت باجتياز البلاد والوصول إلى مدينة لهاسا حيث أقامت شهرين ومع كل ذلك بقى سرها مكتوما لم تطلع عليه عين فى ذلك الاقليم.

ذلك أنها كانت على تمام العلم باللغة التبتية المعقدة الصعبة وبأساليبها الاصطلاحية كما كانت خبيرة بعادات أهلها فمكنها ذلك من أن تختلط بهم وتحيا معهم دون أن يكتشف سرها مع أنه فى خلال رحلتها الخطرة كان يحدق بها دائما شبح الاخفاق والخيبة مرة أخرى لو انفضحت حقيقتها.

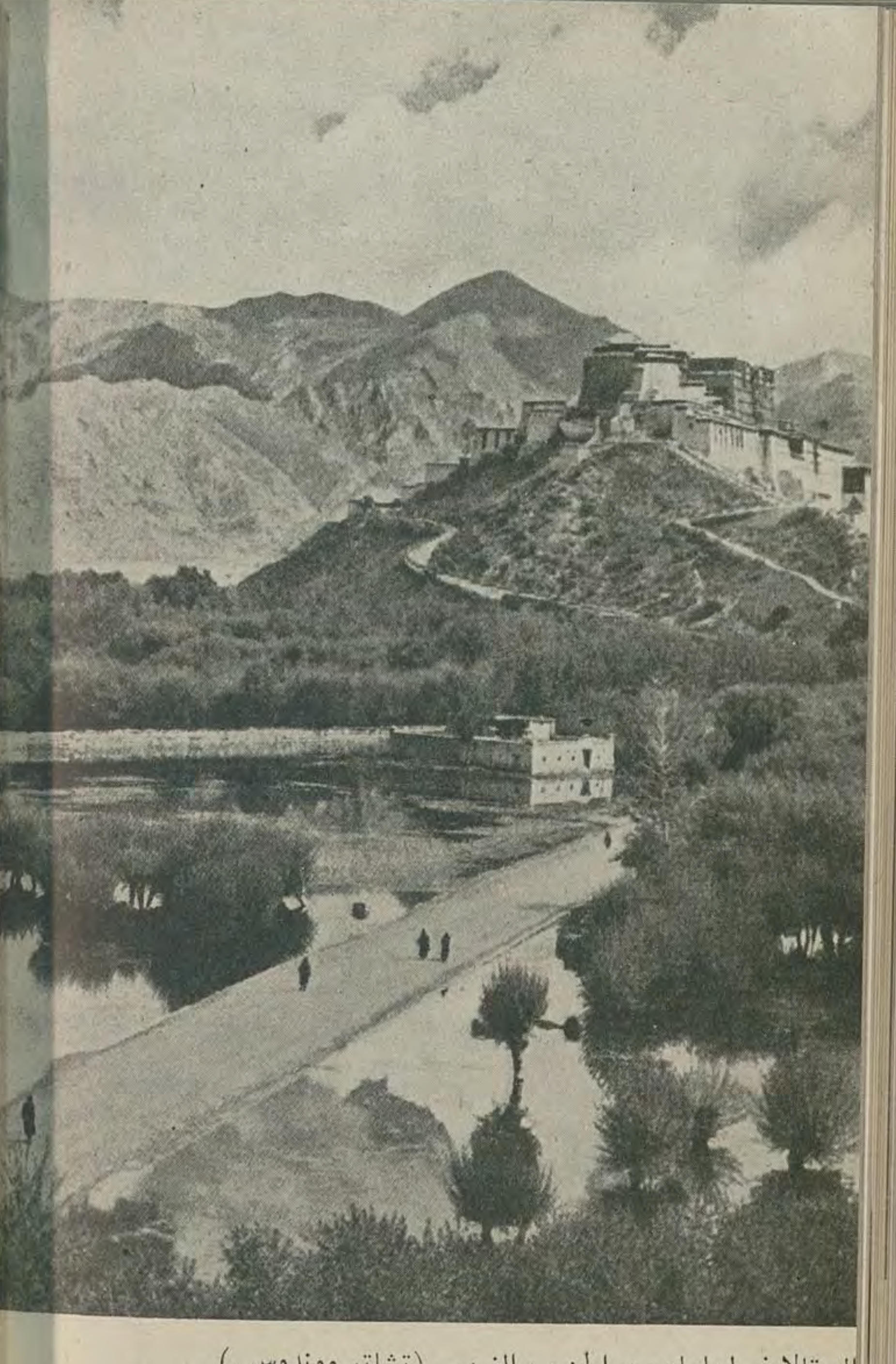
كان والداها مختلفى الجنسية، وقد تلقت العلم فى جامعة السوربون فى باريس وطنها، وصارت لزمن ما أستاذة فى جامعة بروكسل. ولكن حبها للارتحال كان شديدا فقامت بجولات شاسعة فى أنحاء آسيا. وكتبها مفعمة بالجدة وبالمعرفة الشخصية الوثيقة والاطلاع الثاقب على



من قوافل بلاد التبت (الصورة من تصوير المؤلف) .

وضوعات تكاد تكون مجهولة ومن ذلك عادات الشعوب المختلفة فى
تك الأصقاع من الدنيا التى زارتها .

بينما كانت تجتاز سلسلة جبال خاكاربو مع زميلها المخلص يونجدن
لذى كان « لاما » أى قسيساً تبتياً وصاحبها فى عدة رحلات لها فى آسيا،
ظاهر الاثنان بأنهما قد تاها عن حمالهما وتنكرا فى زى الحجاج
سافرين على الأقدام المستجدين الطعام فى طريقهم، وبدآ رحلتهما
ليئة بالمجازفة والأخطار. وقد أصابت مدام دافيد نيل فى اختيار هذا
زى التنكرى إذ أنه يساعد الانسان على السير دون أن يهتم به
حد أو يلقى اليه شأنا فى تلك البلاد المليئة بالشكوك والريب، إذ



البوتالا فى لهاسا، من الجنوب الغربى . (تشاتو ووندوس .)




اليمين : المعبد الذى يظلل قبر الدالاى لاما السابق .
اليسار : الشكل الخارجى للطبقة العليا من ذلك المعبد .

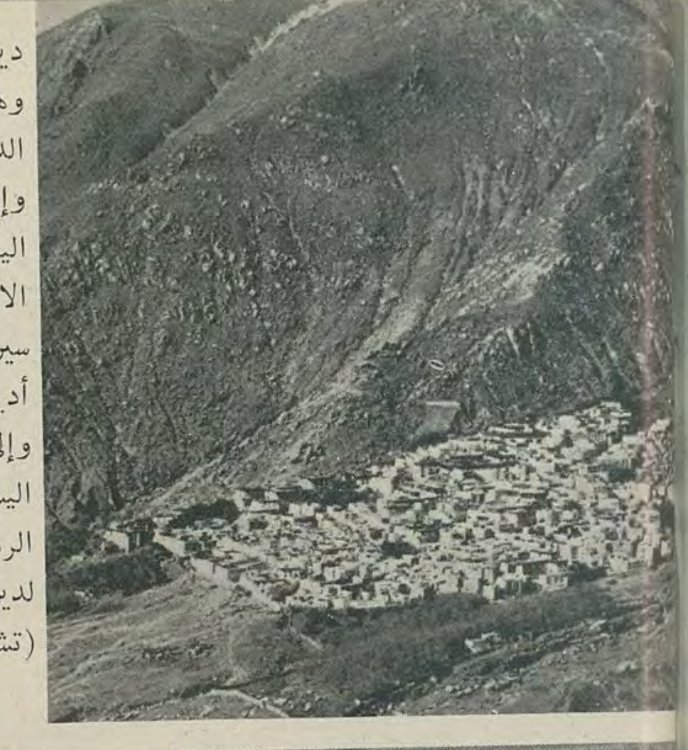
ما حدث مرة واحدة أن شك أحد فى شخصيتها . وكان يونجدن لاما فنيقيا واسع العلم فارتدى رداء اللاما المعتاد ذا اللون الأرجوانى الحالك تمنطق بزنار فى وسطه وارتدى اشارات دالة على أنه واحد من القبعات الحمراء) اى الطبقة العليا بين طبقات القساوسة التبتيين وفى هذا الزى صاحب مدام دافيد نيل التى تصنعت أنها أمه . ونجم عن معرفتها أنها كثيرا ما اضطرت تحت ظروف قاهرة إلى أن تستغل بساطة عقل أولئك الناس وايمانهم بالخرافات بأن استعملت قوتها المزعومة فى فن السحر وفى التنبؤ بالمستقبل . ثم إنهما عبرا ممر دوكر وقاما برحلة مليئة بالأخطار عاشا فى خلالها عيشة شاقة على النزر اليسير من الطعام وهما متنكران بهذا الزى التنكرى حتى وصلا مدينة لهاسا بعد أن صادفا كثيرا من المغامرات المدهشة اضطرت مدام دافيد نيل فى احداها الى أن تجرد مسدسها من مخبئه وتطلق النار على لص هاجمهما مدافعة بذلك عن حياتهما وقد كادت هذه الحادثة تنتهى بفضح حقيقة شخصيتها .

وقد ظلا يسافران ليلا و يختبئان نهارا ليتجنبا الاختلاط بالمسافرين التبتيين حتى توغلا فى أعماق تلك البلاد فان التبتى بسبب قساوة المناخ وصعوبة الطريق يقصر سفره على وقت الصبح وقل أن يغامر بالرحيل إثر النهار أو فى اثناء الليل فى تلك البيداء الموحشة البرية خوفا من اللصوص وقطاع الطريق ، ذلك أن أخلص التبتيين ذمة وأنقاهم ضميرا يعد من العار أن ينقلب إلى لص وسارق و يسلب اخوانه من بنى البشر.

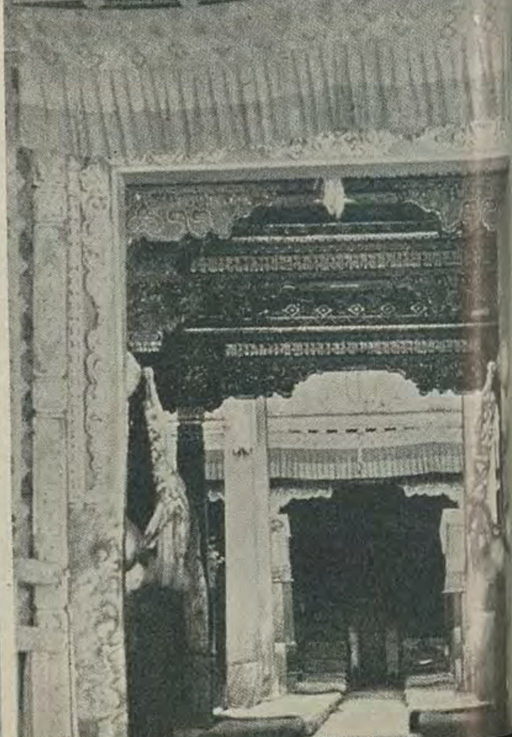
والناس هناك يندر أن يستحموا أو يغسلوا أنفسهم وتلك فيهم عادة لعل من أسبابها حالة المناخ هناك، واذا اعتبرناهم بالمقارنة الى شعوب أخرى وجدنا مستوى معيشتهم ومرافق الصحة بينهم من أحط نوع ولولا قساوة المناخ هناك وشدته لحصدت الحمى السكان بأجمعهم حصدا .

وقد حدث مرات كثيرة أن مدام دافيد نيل خارت قواها لعدم وجود طعام مغذ ولكنها استمرت فى سيرها مجاهدة خلال عواصف الثلوج وزوابع الأمطار وخلال السيول المزمجرة والرياح القارسة البرد . فان ذلك القطر قفر برى ممحل شديد الوعورة، وقد سمى بحق (سقف العالم) فان بعض الممرات الجبلية يبلغ ارتفاعها ١٨٠٠٠ قدم وهى مغطاة بالثلوج وليس فيها إلا ممر وعر للأقدام ليس له من علامات هادية إلا بعض كومات من الأحجار هنا وهناك . ولكنهما إذ كان العزم والشجاعة يملآن صدريهما اقتحما كل هذه المخاطر والصعاب ونجوا وهما قيد شعرة من أن يرتاب فيهما وتفضح حقيقتهما مرات كثيرة لا تتسع هذه القصة الموجزة لاستيعابها كلها حتى أصبحا ذات يوم وقد غادرا قرية دتشن وإذا بهما يريان فى نور الصبح المنبثق المقاصير الذهبية المتلألئة لقصر بوتالا وهو القصر العظيم الذى يسكن فيه الدالاى لاما وأسفل منه تمتد مدينة لهاسا . وما أسرع ما نسيا مخاوفهما إذ قد أفلح مسعاهما وتكلل بالنجاح . وفى لهاسا عاشت مدام دافيد نيل ورفيقها يونجدن شهرين من الزمان يتفرجان على كل شىء ذى شأن ويستكشفان وهما فى كل ذلك قد أجادا تنكرهما فى هيئة شحاذين حتى إنه فى مرة من المرات نزل جندى من جنود البوليس بالضرب على مدام دافيد نيل فى شوارع لهاسا لأنها كانت تستجدى فى حى يسكنه الأشراف !

أما لهاسا تلك المدينة المحرمة فتقع فى واد عميق يحيط به سلسلة وعرة من الأرض وهى على ارتفاع ١١٨٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر وفى الشتاء تكتسح هذه الهضبة الشامخة رياح شديدة وعواصف هائلة محملة بالغبار، والأرض المجاورة ماحلة عارية ولكن أشعة الشمس




دير دريبونغ — وهو أكبر أديرة الدنيا .
وإلى الأسفل على اليمين : قاعة الاجتماع بدير سيرا — وهو ثانى أديرة العالم كبرا.
وإلى الأسفل على اليسار : رئيس الرهبان المسن لدير سيرا .
(تشاتو ووندوس .)

لعل
عوب
ولولا

وجود
زوابع
القطر
بعض
وليس
رسات
ريهما
برتاب
تيعابها
يريان
القصر
اسا .
. وفى
زمان
أجادا
ى من
كانت

وعرة
البحر
هائلة
لشمس

القنطرة الفيروزية فى لهاسا . وترى البوتالا فى مؤخرة الصورة . (تشاتو ووندوس

مدخل « كاتدرائية » لهاسا — أعظم أبنية التبت قداسة . (تشاتو ووندوس .

ساطعة تكسوها الوانا رائعة الخلابة . وليس هناك ما يسر العين فى
نظر البيوت التبتية فى لهاسا فانها ملوثة بالأقذار، والشوارع عبارة
ن مزابل عامة وهى إلى جانب ذلك مليئة بالكلاب الطريدة الشاردة
ى تجثم فى أنحائها . وبرغم أن البيئة كلها مقبضة وضارة بالصحة فان
سكان انفسهم يفيضون مرحاً وضحكا مما يجعل المنظر شاذا مخيفا .
ديانة الاقليم هى الديانة البوذية وهى تامة السيطرة على حياة الناس
تتمثل فى قساوستها اللامات ولكنها لسوء الحظ قد داخلها الخلط
التشويش حتى صار من العسير تمييز البوذية الحقة بين أغلبية اللامات
عامة الشعب كما أن الديانة كلها قد تقسمت إلى طوائف عديدة من
آلهة حتى أصبحت إفسادا للعقائد الأصلية الخالصة لهذا الدين . ويسود
ناس الايمان بالخرافات وتدل عاداتهم على ما للاما من النفوذ الهائل
حياة أغلبية التبتيين الذين يتملكهم الفقر والأمية . وليس مسموحا لأى
نبى دخول القطر ما عدا موظفى الحكومة البريطانية الذين يزورون البلاد
حتى هؤلاء لا بد لهم من القيام بتدابير خاصة أولا وسبب ذلك أن اللاما
خاف أن يفقد قوته وسلطته على الشعب . وهو يعيش على كاهل
شعب فهو فى الحقيقة عالة على المجتمع لا يعمل ولا يزرع ولذلك
سعى فى بث الرعب فى قلوب التبتيين السريعى التصديق بتخويفهم
ن مجىء الأجانب . وكان هذا السد المنيع هو ما دفع مدام دافيد نيل
ى أن تصمم على أن ترى بعينها المدينة المحرمة وان تتوغل فى أسرارها
نتزع هذه الأسرار من مكامنها وتعرضها على العالم .

ومدينة لهاسا مدينة مكتظة إذ هى لا تشمل إلا مربعا محيطه من
لين إلى ثلاثة أميال ويحيط بها شارع خارجى يسمى (لنج كور) أو
زة المنتزه وفرض واجب على كل بوذى متمسك بدينه أن يطوف بهذا
شارع كل يوم وخصوصا فى الأيام المقدسة المعينة . وحين نخترق هذا
شارع المحيط الملىء بأشجار الصفصاف المتهدلة الأغصان نرى عجلات
عبادة الضخمة مثبتة فى جانب الطريق وكلما مر بها مؤمن حركها

لتدور كواجب دينى عليه حتى يبعث بالأدعية إلى آلهته كما تقضى العادة التبتية المرسومة. ويصطف المتسولون صفوفا فى مختلف النقط من الشارع وما أكثر ما نشاهد من الحجاج المسافرين فى رحلتهم الورعة حول المدينة لا ينفكون عن إدارة عجلات العبادة أو التسبيح على سبحاتهم بينما ترفرف فوق رءوسهم رايات العبادة لتطرد الأرواح الشريرة وهى مثبتة على أعمدة مغروسة فى الأرض أو متهدلة على أغصان بعض الأشجار. ويمر الشارع على خزان يسمى كالنج تشو بنى فى سنة ١٧٢١ ليحمى المدينة من الفيضان. ولا يزال يبدو علامات تدل على الفتوح الصينية الماضية تتجلى فى الهياكل والنقوش والتصاوير وأمثالها ومن الأسف لا يسمح لنا الفراغ بأن نفصل فى وصف شارع لنج كور، وإذ نحن مضطرون إلى ان نكتفى بوصف مقتضب لبناء بوتالا ذلك البناء الذى يتطلب وصفا مطولا مفصلا فنحن نأمل أن الصور التى تحلى هذا المقال ستساعد القارىء على أن يتخيل تلك المحاسن الجمة ويقدر ما لها من قيمة.

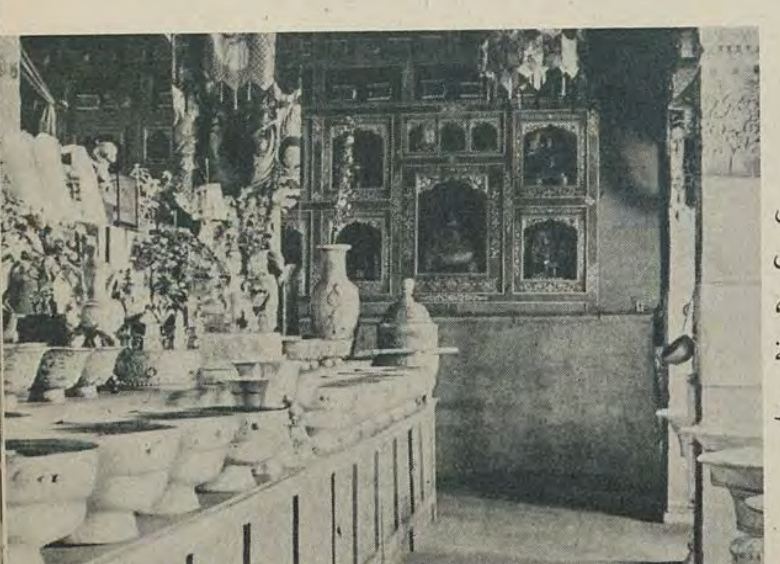


عرش الدالاى لاما فى حجرة الاستقبال بقصره فى نوربهو لينغكا. (تشاتو ووندوس.)

ولا يسعنا أن نمضى دون أن نشير إلى بناء جوكنج وهو أعظم الأبنية قداسة فى التبت كلها وهذا الهيكل الذى يقع فى وسط لهاسا إليه يحج كل الحجاج البوذيين المخلصين. وقد بنى فى سنة ٦٥٢ بعد

ميلاد ليضم التماثيل التى ابتاعتها زوجتا الملك سنج توين جمبو
لبوذيتان، ولكن البناء قد أضيف إليه بعد ذلك حتى ازداد حجمه
زديادا عظيما . وفى داخله المقاصير والمعابد بنيت للآلهة المتعددة
كثير من الأوثان محلاة بالأحجار الثمينة ذات القيمة الغالية .

وبناء بوتالا يشرف على مدينة لهاسا بأجمعها إذ هو يعلو بمقدار
٤٤٠ قدما على مستوى المدينة ويمتد إلى اتساع ٩٠٠ قدم . وهو
سيط البناء ومنظره مخيف يملأ القلب خشوعا ورهبا وهو من أروع
لأبنية فى الدنيا وأشعة الشمس تنعكس على أعمدة سقفه الذهبية وتبعث
شعل من اللهيب، وأما فى الليل فان ضياء القمر ينعكس من حيطانه
بيضاء الدهان . والبناء مخروطى الشكل نوعا ويبدو كأنه مائل إلى
وراء ويعزز هذه الهيئة أن النوافذ أعرض فى قاعدتها منها فى أعلاها .
ليس للبناء إلا مداخل ثلاثة يقود إليها سلالم ضخمة ملتوية تعززها
بطان قد نحتت فيها درجات عظيمة الضخامة أيضا . وقد كان بناء
بوتالا على يد الدالاى لاما الخامس الذى تتمتع ذكراه بقداسة
بالغة واسمه لبسانج جياتسو . ولكن لا يستطاع الجزم بتقدير الأبنية
سابقة التى كانت موجودة فى ذلك المكان والتى ضمت إلى البناء الحالى



الأسفل
الدالاى
سابق ،
زخرفة
(تشاتو
.)




صورة على حيطان الإصطبلات بقصر الدالاى لاما فى نوربهو لينغكا . إلى اليسار : قاعدة نفير مصنوعة من الخشب المدهون الجميل ، وتستعمل فى احتفالات السنة الجديدة على سقف البوتالا . (تشاتو ووندوس .)

ولما مات ذلك اللاما فى سنة ١٦٨٠ كان البناء لم يتم بعد ولكنه أكمله بعد بضع سنين سنج جيا جياتسو وزيره وناصحه الكفء . وحيطان البوتالا تدهن بالدهان الأبيض مرة فى كل عام كما أن النوافذ تدهن باللون البنفسجى الزاهى .

والطقوس الكبيرة فى السنة التبتية تكاد كلها يقام بها فى داخل حيطان البوتالا أو على سقفه الفسيح . وبينما كانت مدام دافيد نيل فى لهاسا أسعدها الحظ بأن شاهدت مراسم الاحتفال بالعام التبتى الجديد تلك المراسم التى غبر عليها العهد وفى اثنائها يرتدى الناس والموظفون أبهى حللهم حتى يصير المنظر بديعا رائعا مليئا بالألوان المبهجة والموظفون يختالون فى زهو وكبرياء ووقار . وكان على سقف البوتالا مبارزات مصطنعة ومنافسات فى الرمى ورقص الشيطان المشهور ورقصات الاشباح ولكن أعظم من ذلك كله وقعا على النفس راقصو (القبعات السوداء) بما لهم من الأسرار والرموز. وهذه الاحتفالات تستمر أياما عدة مصحوبة بغير انقطاع بقرع الطبول النحاسية وبالأنغام الرنانة الصادرة من أبواق الهيكل الضخمة وبرنين الصنوج وأصوات الآلات الموسيقية الأخرى .

وبينما المنظر الخارجى للبوتالا رائع رهيب إذ بداخله مجموعة

اشدة من الأفكار الفنية ممثلة فى مختلف الحجرات والدهاليز . ومرة
كل يوم يجب أن يجتمع كل موظفى لهاسا من دينيين ومدنيين فى قاعة
لاجتماع العظيمة فى وقت معلوم وهذا للتأكد من أن الموظفين باقون
لى أعمالهم لم يهجروا المدينة . والحيطان الداخلية للبوتالا مغطاة
بمختلف التصاوير وما أكثر ما يشاهد هناك من التحف الفنية مثل
مصابيح البديعة الصنع وأوانى الخزف النادرة المثال والمصنوعات المعدنية
لدقيقة التصميم ونماذج لمختلف المعابد والصناديق السحرية الثمينة القيمة
والأقراط الطويلة المصنوعة من الفيروز وهى ميزة رجال الطبقة العليا فى
تبت وهؤلاء يلبسون قرطا واحدا يتدلى من شحمة أذنهم اليسرى
ف إلى ذلك عددا لا يحصى من الجواهر التى لم تقطع ولم تصنع والتى لا
بارى فى صفائها وتلألؤها، ويقال إن البوتالا وأقبيته تضم كنوزا من
ال لا يصدق مقدارها وأحجارا ثمينة ومعادن وهى هدايا أهداها الحجاج
الأتقياء واكتنزها كبراء اللامات خلال السنين .

وأشد أجزاء البوتالا وقعا على النفس الضريح الذى تثوى فيه
أجساد المحنطة لكبراء اللامات، ويقال إن أحدها موضوع فى تابوت
ذهبى مطعم بالذهب ومحلى بالفيروز واللازورد والجمست والجزع المعرق
والياقوت الأزرق والأحمر والماس . ومن سقف الضريح يشرف الرائى على
عجب منظر لمدينة لهاسا بمنازلها ذات السقوف المسطحة وشوارعها
الضيقة والمتنزهات فى خارج المدينة ولنج كور والبوابات الضخمة العديدة
فى مداخل المدينة وجسر الفيروز الذى سمى بهذا الاسم بسبب لون
سقفه المغطى بالقرميد ونوربهو لنجكا البديع المنظر أو منتزه الجواهر
الذى يصيف فيه الدلاى لاما والسقف الذهبى للجوكنج ورايات
العبادة الشامخة ومن وراء ذلك كله حقول الشعير المقسمة إلى مربعات
تلفها سلسلة الجبال الشامخة الشماء الرهيبة المنظر محيطة بالهضبة كلها .

وفى جوار لهاسا توجد الأديار الثلاثة العظيمة دريبنج وسيرا وجاندن
تماة (أعمدة الدولة الثلاثة) وهى أكبر الأديرة فى الدنيا وفى داخل

جدرانها يسكن حوالى عشرين ألفا من النساك وكل دير منها ينافس الآخر فى الحصول على السيطرة السياسية . وكل أسرة فى التبت لها أمل مقصود أن يكون من بين أفرادها لاما واحد على الأقل . وحين يدخل الواحد ديرا وهو حديث السن يقضى هناك سبع سنين متتلمذا فان هذه المدة أقل ما يلزم لتعلم الصلوات والطقوس تعلما تاما، وإذا حدث أن أحد اللامات فى الوظائف العليا خانته ذاكرته مرة واحدة فقد يسبب ذلك فقدانه منصبه الرفيع .

وفى اثناء احتفال العبادة العظيم الذى يشمل الأسابيع الثلاثة الأولى من العام التبتى الجديد يكون فى أيدى اللامات السلطة التامة على المدينة فيلغون قوانين القطر ويحلون محلها قوانينهم هم، وفى هذه المدة القصيرة يحدث عادة متاعب وفوضى أخلاقية كبيرة تسبب التصادم بين الموظفين العاديين والكبار من ناحية وبين اللامات المتغطرسين المتطفلين من دير دريبنج من ناحية أخرى . والشعب أجبن وأجهل من أن يحاول قمع إساءة اللامات لاستعمال سلطتهم . وكثير من الأديرة تكاد تكون أوكارا للعقبان إذ هى معتزلة منفردة قد بنيت على ارتفاع سحيق على جوانب الجبال الشماء .

والسيطرة فى داخل القطر مقسمة بين الدالاى لاما وبين نائبه الوصى على العرش ويعتقد التبتيون أن روح اللاما الاكبر متسلسلة، وحين يموت فما أكثر ما يحدث من الطقوس والبحث حتى يكتشف الطفل الذى سيحل محله . والدالاى لاما يحيا حياة اعتزال . وقد تسبب من شدة تسلط الرهبان على القطر أن القطر لا يزال فى درك شديد الانحطاط من المدنية حتى إنه لا توجد طرق معبدة ولا صناعات هندسية أو معدنية ولا سكك حديدية ولا يوجد إلا آلة واحدة للاسلكى وخط واحد للتلفون وهذان لا يرتبطان إلا بادارات الموظفين البريطانيين فى الحكومة الهندية فى درجيلنج ، وحتى فى أيامنا هذه التى تستعمل فيها آلات الطباعة فى كل اطراف العالم لا يزال ورقهم يصنع باليد وهو ورق سميك الحجم مرقش الشكل خشن السطح وبسبب إدخال أوراق نبات البيش فى صنعه

لآخرفى
سود أن
يرا وهو
ا يلزم
وظائف
الرفيع .
الثلاثة
التامة
فى هذه
تسبب
غطرسين
وأجهل
الأديرة
ارتفاع

الوصى
، وحين
ل الذى
ن شدة
طاط من
معدنية
للتلفون
لحكومة
الطباعة
الحجم
فى صنعه

ورة نادرة للراقصين المشهورين ذوى القبعات السوداء، على سقف البوتالا . قصهم ملىء بالتصوف والحركات الرمزية، وهم يرقصون لكى يبعدوا الأرواح شريرة التى تجمعت فى السنة القديمة المنصرمة . (تشاتو ووندوس .)



ن من أهل التبت يشتركون فى احتفالات السنة الجديدة . لاحظ الطرز المختلفة لابسهم . (تشاتو ووندوس .)


عالم من علماء اللاما يقرأ كتابه المقدس .


كتابة رايات للصلاة وبيعها فى الشارع.


بدوى رحال من أهل التبت ومعه عجلة الصلاة.
تحت : شحاذ ومعه طبلة جمجمية وجرس دورجى (صاعقة مقدسة) . (تشاتو ووندوس .)



لا تأكله الحشرات . وقوالب طباعتهم تصنع باليد مع العناء الكبير معكوسة على الخشب وكتبهم ذات صفحات طويلة من الحجم الكبير جدا يضم إحداها إلى الأخرى أشرطة من القماش وتنفتح إلى الجانبين وهى فى أغلبها تحتوى على كتب الديانة البوذية والصلوات والطقوس. ولا تزال التبت خالية من الأشياء النافعة المفيدة التى يعرفها العالم الغربى لأن اللامات يعرفون أن جلبها إلى البلاد يجلب معه التعليم فتتضاءل قوتهم بمقدار ما تنتشر المعرفة وروح الاستقلال والطموح بين الفلاحين. ووسائل السفر بسيطة للغاية فهى اما بالركوب على ظهر الحصان الصغير الحجم أو حيوان الياك أو بالسير على الأقدام ولهذا السبب نجد الناس هناك بدواً فى أحوال معيشتهم . وهم لا يحتاجون إلا النزر اليسير فى حياتهم، ولكنه لا بد أن يوجد فى داخل هذا الأصقاع ثروات لا تحصى من المعادن والخامات فضلا عن ما لفنونهم وصناعاتهم من جمال لم يكتشف بعد .

بعد قضاء شهرين فى لهاسا غادرت مدام دافيد نيل فى





يتحدث مع سائقين من سائقى
ل . (من تصوير المؤلف .)
ى سيدات الطبقة الراقية فى التبت.
تو ووندوس .)

سكون كما جاءت، وفى عودتها
تنكرت فى زى امرأة من الطبقة
الوسطى صاحبة حصانين وخادم
هو بالطبع يونجدن ولما عبرا
نهر كيى علوا ممرا صغيرا وتوقفا
ليلقيا نظرة على لهاسا التى بدت
وكأنها حصن خرافى معلق فوق
مدينة ثم استدبرا فى روح من
الكآبة والحسرة تلك المدينة
السحرية ومضيا فى رحلتهما
الطويلة عبر نهر براهمابترا ألى
أودية يانلنج الخصيبة وبعد مدة
وصلا إلى جيانتسى حيث أثارت
مدام دافيد نيل دهشة الموظفين

باعتهم
معكوسة
صفحات
يضم
القماش
أغلبها
البوذية
التبت
دة التى
للامات
يجلب
مقدار ما
ستقلال
ووسائل
الركوب
لحجم أو
الأقدام
ناك بدوا
يحتاجون
ولكنه لا
الأصقاع
والخامات
عاتهم من

لهاسا
يل فى

البريطانيين إذ حضرت أمامهم فى زى امرأة تبتية تتحدث بالانجليزية فى طلاقة تامة !.

وهكذا انتهت رحلتها وإن كان بقى أمامها طريق قارس البرد عبر الهضاب والممرات الساحقة التى تكتسحها عواصف الثلوج من جيانتسى إلى الحدود الهندية . ومدام دافيد نيل أول امرأة من الجنس الأبيض يتسنى لها دخول مدينة لهاسا المحرمة وتشق بذلك طريقا لمغامرى المستقبل، وهكذا نرى تلك القوة البدنية الضئيلة المودعة فى الانسان تسيطر عليها قوة الارادة التى لا تغلب فتقهر عناصر الطبيعة وتتغلب على أصقاع مجدبة فى نفسها وفى سكانها وتلغى تلك القوانين الصارمة التى وضعها لامات التبت محرمة زيارة الأجانب لبلادهم ورؤيتهم لما فى «المدينة المحرمة» الذائعة الصيت من فنون وصناعات ومحاسن .

فريق من أهل التبت . (من تصوير المؤلف .)



فصول الرسم والتلوين فى برامج الدراسة

بقلم الآنسة اجلال حافظ

ان من ابرز التغييرات التى ادخلت على برامج الدراسة فى العالم لراقى اليوم هى العناية الكبيرة التى اصبحت توجه الى تدريس الفن اى لرسم والتلوين للاطفال منذ اول التحاقهم بالمدرسة اى حوالى السادسة من لعمر، او قبل ذلك بقليل، حتى الرابعة عشرة او الخامسة عشرة . فتوجد فى هذا الميدان اليوم حركة واسعة مهمة يخصها المشتغلون بالتعليم بعناية كبيرة ودراسة دقيقة لما اكتشفوه من المزايا والفوائد التى تعود على لطفل من دراسة هذه المادة . وهذه المنافع التى يجنيها الطفل لا تقتصر لى تعلم مادة الرسم نفسها بل ان لهذه الدراسة اثرا بينا على تطوره تكوينه العقلى بوجه عام سواء اظهر الطفل اتجاها وشغفا خاصا نحو رسم او لم يظهر مثل هذا الميل .

ولاننى على يقين من ان مثل هذا الموضوع هو مما يهم البلاد الشرقية انه يجب ان يحتل نفس الاهمية من نفوس المشتغلين بالتعليم فى كل تلك بلاد رأيت ان اروى فى هذا المقال بعض التفاصيل مما اكتسبته من برتى فى المدارس الانجليزية .

وكما قدمت فان الفوائد التى يجنيها الطفل فى دروس الرسم ليست صورة على تزويده فى النهاية بالمهارة الفنية التى بها يستطيع محاكاة ماذج التى توضع امامه بقلمه الرصاص او ما يماثله بل ان افق هذه دراسة اوسع من هذا بكثير وانه اذا اجريت هذه الفصول على طريقة المثلى ساعدت على تكوين ملكات عديدة عند الطفل ربما عجزت مادة اخرى عن غرسها فيه .

والطفل فى حداثة سنه منذ بلوغه الثالثة احيانا، عندما لا تخرج

حدود دنياه الصغيرة عن اللعب تراه يبدى ميلا ظاهرا للرسم، فهو قبل ان يتعلم شيئا عن القراءة والكتابة تراه يقبض على القلم او قطعة من الطباشير كيفما اتفق ويحاول ان يخط خطوطا ويرسم اشكالا على قطعة من الورق وهو بهذا يحاول ان يعبر عن اشياء رآها او سمع بها او ربما املاها عليه خياله المحض، وان كان ذلك الخيال مهما اشتدت قوته وغرابته لا يخرج عن خبرته التى اكتسبها من العالم المحسوس الذى يحيط به . وهو من هذه الناحية يشبه الرجل الاولى الذى عاش فى الكهوف من قديم الزمان عندما كان يستخدم الرسم للتعبير عما يجول بنفسه قبل ان يكتشف الكتابة بل قبل ان يعرف الكلام .

اذن الرسم كاللعب هو من اول الميول التى تبدو عند الطفل، وكما ان طرق التعليم الحديثة تستغل غريزة اللعب او ولع الطفل باللعب فى سنى عمره الاولى لتلقينه العلم شيئا فشيئا كذلك اصبح هذا الميل للرسم عند الطفل مصدرا لتوسيع افق ادراكه وغرس ملكات عظيمة الاهمية فى نفسه .

ما هى تلك الملكات التى تنميها دروس الرسم عند الطفل؟ ان اول تلك الملكات واهمها هى قوة الملاحظة التى هى اقوى سبيل للتعليم فالطفل الذى تشتد عنده تلك الحاسة جدير بان يكتسب من العلم وما يجرى حوله من تجارب الحياة اضعاف غيره ممن لم تتطور عندهم هذه القوة .

بيد ان الخيال هو اولى الملكات التى تبرز عند الطفل وفى دروس الرسم يستطيع المدرس ان يهذب هذه الملكة وان يعمل على زيادتها وتنميتها، وسعة الخيال الذى تصحبه القدرة على الابداع والابتكار له مزايا غنية عن الوصف .

وقوة الحافظة ملكة اخرى تلعب دورا جديا فى تكوين الانسان العقلى ويمكن تدريبها وتقويتها فى فصول الرسم، هذا الى جانب صفات اخرى عديدة عظيمة الاهمية كالدقة والنظام والتبصر وقوة الحكم .



تلميذات فى فصل للرسم عن الحياة بمدرسة تشلتنهام .

لكل هذه الاسباب يشتد اهتمام اولى الامر بفصول الرسم فى المدارس الاولية او ما نطلق عليه عندنا رياض الاطفال وفى المدارس الثانوية التى يلتحق بها الاطفال وهم فى العاشرة من العمر تقريبا حتى حصولهم على شهادة البكالوريا او ما يعادلها .

وتتدرج المواضيع التى تدرس باختلاف الاعمار كما يختلف عدد الحصص ومدتها تبعا للسن كذلك ففى حالة صغار الاطفال يكثر عدد الحصص فى الاسبوع وتكون مدة الحصة الواحدة قصيرة ، حوالى نصف ساعة ، لعدم استطاعة الطفل الصغير المثابرة لفترة طويلة .

ولا ينبغى ان يقيد الطفل فى اول عهده بالدراسة بموضوعات يمليها عليه المدرس بل يجب ان تترك لخياله اكبر فرصة، وان تترك له حرية التعبير عما يختاره هو نفسه من الموضوعات ومن الخطأ ان يزحم المدرس عقل الطفل بارشادات ونقد عن الرسم فى هذه المرحلة والا افسد على الطفل ذلك الخيال او حده بقيود تعود عليه بالضرر. وان كان لا بد للمدرس من اختيار الموضوع فليعط الطفل عددا من الموضوعات ويترك له ان يختار من بينها ما يشاء وفى كل هذا لا يجب عليه ان يعطيه من الارشادات عن اصول الرسم الا الضرورى جدا والا عقد السبيل امامه كما قدمت .

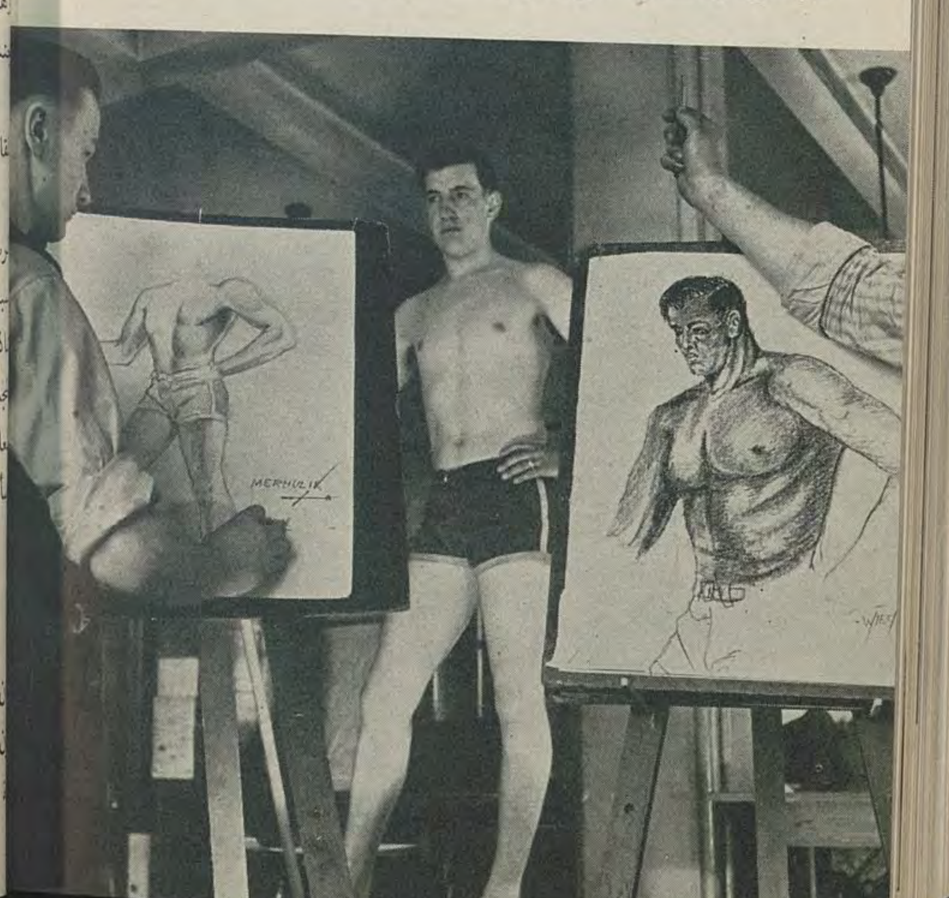
وكلما تقدم الطفل فى العمر استطاع المدرس ان يزيد فى تحديد الموضوعات وكذلك يستطيع ان يزيده من الارشادات بالتدريج .

والنظرية السائدة اليوم هى ان يبدأ الطفل دروس الرسم باستخدام الالوان المائية والفرشة فى عمل صورة لا رسم نموذج معين ثم التدرج بعد

ذلك الى الرسم بالقلم الرصاص ، هذا على العكس من الطرق القديمة التى بها كان يترك استخدام الالوان المائية حتى مرحلة متأخرة من التعليم .

وتلك النظرية القديمة عقيمة ولها مضار عديدة فهى تحد من حرية الطفل الذى يفضل ان يرى نتيجة سريعة لعمله ولا يمكنه ان يحصل على تلك النتيجة عن طريق استخدام القلم الرصاص وثانيا فهى تواجهه بمشكلات وصعوبات تجعله يخشى دروس الرسم ان لم يمقتها بالكلية .

والالوان المائية هى انسب مادة للطفل فهى تشبع فيه حبه وولعه بالالوان الزاهية كما ان الفرشة توفر للطفل اكبر قسط من الحرية فى وضع الاشكال والرسوم على الورق . وتقسم دروس الرسم الى فروع تتفق مع مراحل نمو الطفل العقلى وظهور ملكاته تبعا لسنه . فمثلا ، كما قلت من قبل ،



ن ملكة الخيال تظهر فى سن مبكرة لذلك تختار موضوعات تعين على تنمية
لك الملكة فتقتصر الدراسة، الى وقت ما، مثلا على عمل صور ملونة . ومن
ذه الدروس يتدرج المدرس الى تقوية قوة الملاحظة عند الطفل كأن
يجعله ينظر الى الجسم او الشيء قبل رسمه . ثم تأتى بعد ذلك الحاجة الى
تدريب قوة الحافظة فيطالب الطفل برسم نماذج من الذاكرة ثم يعاد
ضع النموذج امام الطفل ليرى اخطاءه .

ومن الفروع التى لها اهمية خاصة فى دروس الرسم دروس
لزخرفة التى تستحث فى الطفل قوته الابداعية والابتكارية ويمتد اثر تلك
لدروس فى حياة الطفل العامة داخل المدرسة وخارجها وهى وسيلة
كبرى فى تعليم الطفل نظريات الالوان وتهذيب ذوقه الفنى بوجه عام .
وهذا الفرع يكثر تدريسه فى السنوات الاولى اى انه يسير جنبا الى
نب مع دروس عمل صور ومناظر طبيعية .

ولست اريد ان ادخل فى تفاصيل دقيقة فنية فى الموضوع فى هذه
قالة ولكنى سأرجىء التبسط فى النقط الفنية الى المقال المقبل .

ولكنى قبل ان اختتم اشير الى ظاهرة اخرى عن العناية بتدريس
رسم لاطفال المدارس وهى المجلات العديدة التى تظهر شهريا او
سبوعيا بعضها للمدرسين وبعضها للاطفال انفسهم وفيها يرون
اذج ملونة من رسوم الاطفال وارشادات تنفعهم كثيرا . والى جانب
جلات توجد معارض الرسم للاطفال وقد زرت عددا كبيرا من تلك
عارض التى تقام فى فترات منتظمة وكانت المعروضات فيها مدهشة حقا .
أتكلم عن هذه ايضا فى المقال الآتى .

★

ن من طلبة
ن يرسمان عن

خيال الظل فى القطر المصرى

بقلم بول كاله

قليل من يعرف «خيال الظل» فى القطر المصرى اليوم فقد اصبح هذا النوع من التسلية فى القرن الاخير قاصرا على الطبقة الفقيرة او افقر الطبقات، فقط انها لم تكن كذلك دائما، فلهذا النوع من التسلية تاريخ طويل وشهير وقد كان يدور فى القطر المصرى كملاهى الطبقات العليا او اعلى الطبقات من الناس، فنسمع مثلا ان صلاح الدين الايوبى حضر مشهدا من خيال الظل هو ووزيره القاضى الفاضل حوالى عام ١١٧١ ميلادية او ٥٦٧ هجرية، وكثيراً ما ذكر ابن اياس فى تاريخه تلك الروايات وهو يحكى ان السلطان چقمق اصدر اوامره فى عام ١٤٥١م او ٨٥٥ ﻫ بحرق كل الشخصيات التى ظهرت فى خيال الظل والسبب فى ذلك هو ربما ان المسلم لا يباح له مشاهدة اشياء تحاكى المخلوقات الحية، ويحكى ايضا ان السلطان محمد ابو السعادات طرب كثيرا لفكاهات رواية خيال الظل لمثلها ابى الخير اثناء المولد النبوى عام ١٤٩٨ م او ٩٠٤ ﻫ . وايضا ان السلطان التركى سليم، بعد ان تم له فتح القطر المصرى عام ١٥١٧ م او ٩٢٣ ﻫ اراد ان يرفه عن نفسه بمشاهدة خيال الظل رأى فيها اعدام طومان بك آخر سلطان فى دولة المماليك وهو معلق بباب الزويلة، ويقال ان طربه لمشاهدة هذه الرواية كان عظيما حتى انه اصطحب المثل معه الى استانبول ليقدم الاعيبه امام ولده وولى عهده المشهور السلطان سليمان .

وقد ساعدنى الحظ فوجدت فى القاهرة مخطوطات فيها اصول لروايات خيال الظل يرجع تاريخها الى ١٧٠٧م او ١١١٨ﻫ . وقد اشترك ثلاثة من ممثلى روايات خيال الظل للقرن السادس عشر الميلادى او العاشر الهجرى، اشتركوا فى وضع اصول تلك الروايات وهم الشيخ سعود والشيخ

على النحلة والرئيس داود المناوى العطار وكان الشيخ سعود هو استاذ داود وكان على النحلة هو شيخ الطريقة فى ذلك العهد . وقد الفوا القطع الشعرية على هيئة ازجال وبلاليق وانواع اخرى من الفنون الحديثة . ويصف داود فى قطعة طويلة من الزجل رحلته مع بعض ممثليه الى استانبول عن طريق رشيد والاسكندرية فى عام ١٦١٢ م او ١٠١٢ ﻫ وكان عليهم ان يحضروا فى حفلة زفاف اوكوز محمد باشا الذى كان ولى منصب الحاكم العام للقطر المصرى لمدة اربع سنين وتزوج، بعد ما عاد الى استانبول، ابنة السلطان وكان عمرها فى هذا العهد ثلاث سنين لا غير . وكان هذا فى ثلاثين من يونيو عام ١٦١٢، وفى الشتاء التالى امر السلطان ان هؤلاء المصريين يمثلون خيال الظل فى حضرته فى ادرنه (ادريانوبل) .

وقد اكتشفت فى بلد صغيرة اسمها منزله تقع بين دمياط وبورت سعيد شخصيات فى روايات خيال الظل على درجة كبيرة جدا من الاهمية وتحتوى على اسلوب راق وتعد بين احسن الامثلة فى فن المماليك . وتزين بعض تلك الشخصيات بشعار النبلاء الخاص بالامير جندار حارس السراى الذى عاش فى النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادى او الثامن الهجرى . ولا بد ان الشخصيات التى زينت بذاك الشعار قد عملت بناء على اوامر خاصة اصدرها امير ذلك العهد . وهى تعد اقدم شخصيات فى روايات خيال الظل لها وجود قائم فى العالم اليوم . اذ لا نجد فى بلاد الصين ولا فى جزيرة جاوه من جزائر الهند الشرقية حيث نعلم بوجود خيال الظل من عهد قديم الى يومنا الحاضر اقول لا نجد شخصيات يمكن مقارنتها فى القدم بتلك الشخصيات المذكورة .

ونحصل من القطر المصرى ايضا على اصول لروايات خيال الظل اقدم مما نجد فى اية مملكة اخرى وقد الف تلك محمد بن دانيال ووظيفته كحال فى القاهرة وقد توفى عام ١٣١١ م او ٧١١ ﻫ وقد وصف ابن دانيال هذا بانه احد شعراء اللغة العربية فى سرعة الخاطر واكثرهم

فكاهة وذكاء وحقا قد كان ذلك الشاعر من ذوى الادب المثقفين وكانت روحه الفكاهية فريدة فى الادب العربى . وكان ابن دانيال فى شبابه معاصرا للسلطان العظيم الظاهر بيبرس المتوفى عام ١٢٧٧ م او ٦٧٦ ﻫ وتعكس كتاباته الاحوال السائدة فى القطر المصرى اثناء حكم ذلك السلطان بطريقة فائقة واذا تذكرنا ان تلك المؤلفات تحتوى على الامثلة الوحيدة الموجودة لدينا عن الشعر الروائى العربى فى العصور الوسطى ادركنا اهميتها الفريدة .

ولكن ابن دانيال مؤلف يختلف عن غيره فكل مؤلفاته مكتوبة على اسلوب السجع او الشعر واغلبها قصائد وان كانت تحتوى كذلك على بعض الفنون الحديثة مثل موشحات وازجال ودوبيت وغيرها والاسلوب العام لتلك الاشعار يذكرنا بالحريرى الذى يشير اليه ابن دانيال مرارا فى مؤلفاته ولكن بينما نجد فى تلك المؤلفات شرحا نفيسا للحريرى يساعدنا على فهم مقاماته الا اننا لا نجد ما يعاوننا على فهم ابن دانيال، وايضا فبينما نملك فى حوزتنا مخطوطات فائقة لمقامات الحريرى فان المخطوطات الثلاث التى وصلت الى ايدينا وتحتوى على روايات خيال الظل لابن دانيال قد كتبها رجال اساءوا فهم اصولها فى بعض الاحيان . والمادة فى هذه المؤلفات عظيمة الحجم والنسخة الموجودة فى استانبول والتى يرجع تاريخها الى ١٤٢٥ م او ٨٢٨ ﻫ مدونة بخط اليد وكلماتها متباعدة وتشتمل على ١٨٢ صفحة بينما النسخة الموجودة فى مكتبة الاسكوريال فى بلاد الاندلس والتى تؤرخ ١٤٤١ م او ٨٤٥ ﻫ مدونة فى ٦٣ صفحة ولكن كلماتها متقاربة . اما النسخة الموجودة فى القطر المصرى فقد دونت بعد السابقتين بمائة سنة وكانت تقع فى حوزة احمد باشا تيمور ولكنها الآن فى دار الكتب المصرية، وتشتمل هذه النسخة على ٦٧ صفحة ولكن بها فجوة كبيرة .

ويطلق المؤلف على الرواية الاولى «طيف الخيال» وفيها يعطى صورة واضحة عن الاحوال السياسية والثقافية فى القطر المصرى خلال القرن

الثالث عشر الميلادى او السابع الهجرى ومما يستحق الذكر ان ابن اياس فى تاريخه عندما يصف الاحوال فى القطر المصرى اثناء حكم الظاهر بيبارس يقتبس قطعة طويلة من هذه الرواية الاولى اى طيف الخيال وفيها يعطى صورة هزلية لبعض الاوامر التى اصدرها السلطان وتشتمل ايضا على قصيدة بديعة عن ابى مرة يعنى الابليس الذى هدم حكمه حكم السلطان . وفى الرواية الثانية «عجيب وغريب» يصور لنا المؤلف ثلاثين نوعا من السوق فى القاهرة وتدخل الشخصيات المختلفة واحدة بعد الاخرى وتصف كل واحدة منها صنعتها بروح فكاهية، وفى احدى تلك الشخصيات، مقدام المؤاسى، يقدم لنا ابن دانيال بصراحة صورة مضحكة عن نفسه وعن وظيفته كطبيب . اما الرواية الثالثة السماة «المتيم» فتتضمن حب المتيم لليتيم وفيها يقدم بطريقة رفيعة قتال الديوك وقتال الاكباش وقتال الثيران .

اما الشخصيتان الرئيسيتان فى الرواية الاولى فهما طيف الخيال الاحدب القصير الذى تسمى الرواية باسمه والامير وصال الذى يظهر فى زى جندى له سبال منفوش ويرتدى شربوش . وسأعطى هنا مثلا من روايات ابن دانيال وهو بعض مناظر من روايته الاولى تدور حول زواج الامير وصال .

(تمر بضعة مناظر يعلن بعدها الامير وصال عزمه على الاستقرار والزواج . ام رشيد العجوز القوادة تدعى للمساعدة . ام رشيد خبيرة بكل نقط الضعف فى طباع الامير وتذكر فى جملة ما تذكر حادثة دارت بين الامير وما يزال صبيا وبين زوجها، حادثة لا يسر الامير لذكرها كثيرا . والمحاورة هى الآتية) :

يقول الامير وصال (كانه ما سمع كلامها) — يا خالتى ام رشيد كيف نعم الله عليك، ولقد كنت قسما بالله العظيم مشتاقا اليك، وما طلبتك الا لتزوجينى، والى غيرك لا تحوجينى .

فتقول العجوز — هذا من اعجب الامور، ما برحت تكره الاناث وتحب الذكور.

فيقول الامير وصال — اذا امتلأ الجيب، فما فى حلال من عيب، وأريد هذه العروس تكون درية اللون، حسنة الكون، ملفوفة البدن، لا رقيقة ولا مفرطة السمن، اسيلة الخد، قائمة النهد . . .

فتقول ام رشيد — وكبدى، كانت وصفة العروسة التى عندى، فانها بهذه الاوصاف الظراف، وموضع يا من خاف، وهذه صبية، وأى صبيه، كانها قبة مبنيه، كما قيل (وتنشد) :

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة	كأنها لؤلؤ فى الخدر مكنون
حسن جرى قلم البارى فأبدعه	خطا تحار لمرآه الدواوين
فقدها الف حسنا ومبسمها	ميم وحاجبها فى شكله نون
وصدغها عطفه واو ومقلتها	صاد وطرتها من شعرها سين
راشت لواحظها نبلا فحاجبها	قوس على انه بالموت مقرون
فالخد والصدغ اذ يبدو ومبسمها	در وآس وريحان ونسرين
والغصن يعهد فى البستان مغرسه	وهذه غصن فيه بساتين

(وتصف ام رشيد ما امتحنت العروس مع زوجها الاولانى وما امتحنت هى بنفسها فى شبابتها)

فيقول الامير وصال — مثلك من لا يرى على بردى .

فتقول ام رشيد — أى والله يا ولدى وإذا وقع التراضى، فلا بد من الولى والقاضى وان شئت بلا قاضى (وتضحك على العاده، معرضه بالقياده .)

فيقول الامير وصال — قد عزمت متوكلا، فبارك اللهم كما باركت فى لا ولا (القرآن ٢٤، ٣٥) وهذا اليوم اتصاله محمود، وأحضرى العاقد والشهود .

(فيحضر الولى والشاهد)

فيقول العاقد — الحمد لله ساتر العيوب، وعالم الغيوب، المفرج من الكروب، والمؤلف بين القلوب، واشهد ان لا اله الا الله غافر الذنوب، واشهد ان محمدا عبده ورسوله الصادق المصطفى المحبوب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه دائمة الوجوب؛ هادى الأمة، وكاشف الغمة؛ الذى سن النكاح، ودعا الى الفلاح؛ وبعد: فان التناكح والوصل، سن لوجود الذكر ببقاء النسل؛ وهو العاصم من الاوزار، والدخول الى النار؛ نتاجه الاولاد، والسادة الانجاد؛ يعمرون الدار، وينصرون بالاكثار، ويدرك بهم الثار، وتقال بهم العثار. والزوجة المباركة هى الحافظة للفعال، الجامعة للمال، والمعدة لحسن المآل؛ والموطؤة للطعام، والممهدة للمنام؛ وهى مشتكى الحزن، ومستودعة السر والعلن؛ والمساعدة على الاغراض، والمعللة فى الامراض؛ الخليلة الصاحبة، والنائحة النادبة؛ والمسامرة الضجيعة، والمطية المطيعة.

وهذا الامير وصال، مشكور الخصال، وقد رغب فى الاتصال؛ بالست المصونة، والدرة المكنونة؛ ضبة بنت مفتاح، على ما اصدقها فيه فى هذا النكاح؛ وهى مائة معجلة، واربعة مؤجلة؛ قل قبلت هذا النكاح بهذا الصداق، عصمك الله من الفراق والطلاق.

يقول الامير وصال — قبلت، ولبئس ما عملت.

(فعندها تطلق ام رشيد البخور، وترش الماورد على الحضور.)

يقول الامير وصال — لا بد من تدبير المال، وتجهيز الحال؛ على انى الليلة اجوع من زنبور، وافلس من الطنبور. وينشد:

اسيت افقر من يروح ويغتدى	ما فى يدى من فاقتى الا يدى
فى منزل لم يحو غيرى قاعدا	فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة	ومخدة كانت لأم المهتدى

ملقى على طراحة فى حشوها قمل شبيه السمسم المتبدد
والبق امثال الصراصر خلقة من متهم فى حشوها او منجد
يجعلن جلدى وارما فتخاله من قرصهن به ندوب المجلد
وترى براغيثا بجسمى علقت مثل المحاجم فى المسآء وفى الغد
وترى البعوض يطير وهو بريشه فاذا تمكن فوق عرق يفصد
والفار يركض كالخيول تسابقت من كل جردآء الاديم وأجرد
يأكلن اخشاب السقوف شبيهة فارات نجار حددن بمبرد
وترى الخنافس كالزنوج تصففت من كل سوداء الاديم وأسود
دهن اذا طردت ارتك لجاجة فى طردها والويل ان لم تطرد
ولربما اقترنت بصفر عقارب قتالة مثل الحمام الركد
وتقيم لى عند المساء زبانها فأراه وهو كأصبع المتشهد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا يبدو شبيه القاتل المتسود
وكذلك الحرذون صوت مثله فى مسمعى صوت الزناد المصلد
وكأن نسج العنكبوت وبيته شعرية من فوق مقلة أرمد
وكأنما الزنبور البس حلة موشية اعلامها بالعسجد
مترنم بين الذباب مغرد لا كان من مترنم ومغرد
واذا رأى الخفاش ضوء ذبالة عندى أضر بضوئها المتوقد
حشرات بيت لو تلقت عسكراً ولوا على الأعقاب غير مرددى
هذا ولى ثوب تراه مرقعاً فى كل لون مثل ريش الهدهد
لولا الشقاوة ما ولدت وليتنى اذ كان حظى هكذا لم اولد
ولكيف أرضى بالحيوة وهمتى أسمو وحظى فى الحضيض الأوهد

فيقول طيف الخيال — يا امير وصال عهدتك ذا مال وجمال وخيل وبغال.

فيقول الامير وصال — مال المال وحال الحال وذهب الذهب وفضت الفضة وسلب السلب وفرغت الكياس بطون الاكياس وبعت العقار فى رشف العقار واما فرسى وقد افترسته يد الأسقام.....

(وداومت هذه المحاورة مدة طويلة)

فتخرج ام رشيد القوادة وتقول – مسيتم بالسعادة ! يا ولدى قد وقع الفاس، فى راس، فاعمل عمل الناس؛ واما انا فقد درت بالمؤدنات، وسرت فى الشوارع مثل « الصانعه يا بنات »؛ واطلقت من الضامنه ليلة الجمعه، فاكترى للجلا ولو عشرين شمعه؛ وقد اكتريت حلى زهر البستان، والمغنية الورد الطرى الريان؛ والماشطة ام شهاب الدمشقيه، والجلا فى قاعة المهتار بالبرقيه؛ فاحمل فى كمك للنقوط من الدراهم والانصاف الخفاف، والا صفعونا بالدلاكش والخفاف .

فيدخل الامير وصال ويخرج فى زفه، وقدامه المغانى والشمع منصفه؛ ومن خلفه البوقات والطبول، وهو راكب على فرس من اجمل الخيول؛ ثم يترجل ويدخل بأدب وناموس، وتبرز للجلا المواشط بالعروس؛ وتجلا عليه بالخلعه والشربوش، وتتخطر مستورة الوجه بمنديل مذهب منقوش؛ فاذا كشف عن وجهها الخمار، نهقت نهيق الحمار؛ واذا هى، من اكبر الدواهى؛ بأنف كالجبل، ومشافر كالجمل، ولون كالجعل؛ بأجفان مكحلة بالعمش، وخدود مضرجة بالبرش والنمش؛ واسنان كأسنان التمساح، ونكهة تفوح كالمستراح؛ ويد كيد الحرذون، وساق كساق البرذون؛ فعينها لذلك غين، والزن بها شين؛ وينشد ويقول–

لها البهار خدود والشقائق الحاظ ومبسمها فى خضرة الآس

قال – فعندما يراها الامير وصال خر سريعا من الاختلال . . . . .

★

القنال

عندما تترك قنال جمرة بحيرة بكشهر يكون لون مياهها هو اللون العادى للمياه لكنها ما تكاد تصل سهل قونية حتى ينقلب لونها كلون الدم .

قد تظن ان المياه اكتسبت هذا اللون بتأثير مرورها فى ارض هذا السهل الحمراء لكن هأنا اخبرك بان المياه اكتسبت لونها من دماء محمد الديدمكاوى ومن دماء اخيه .

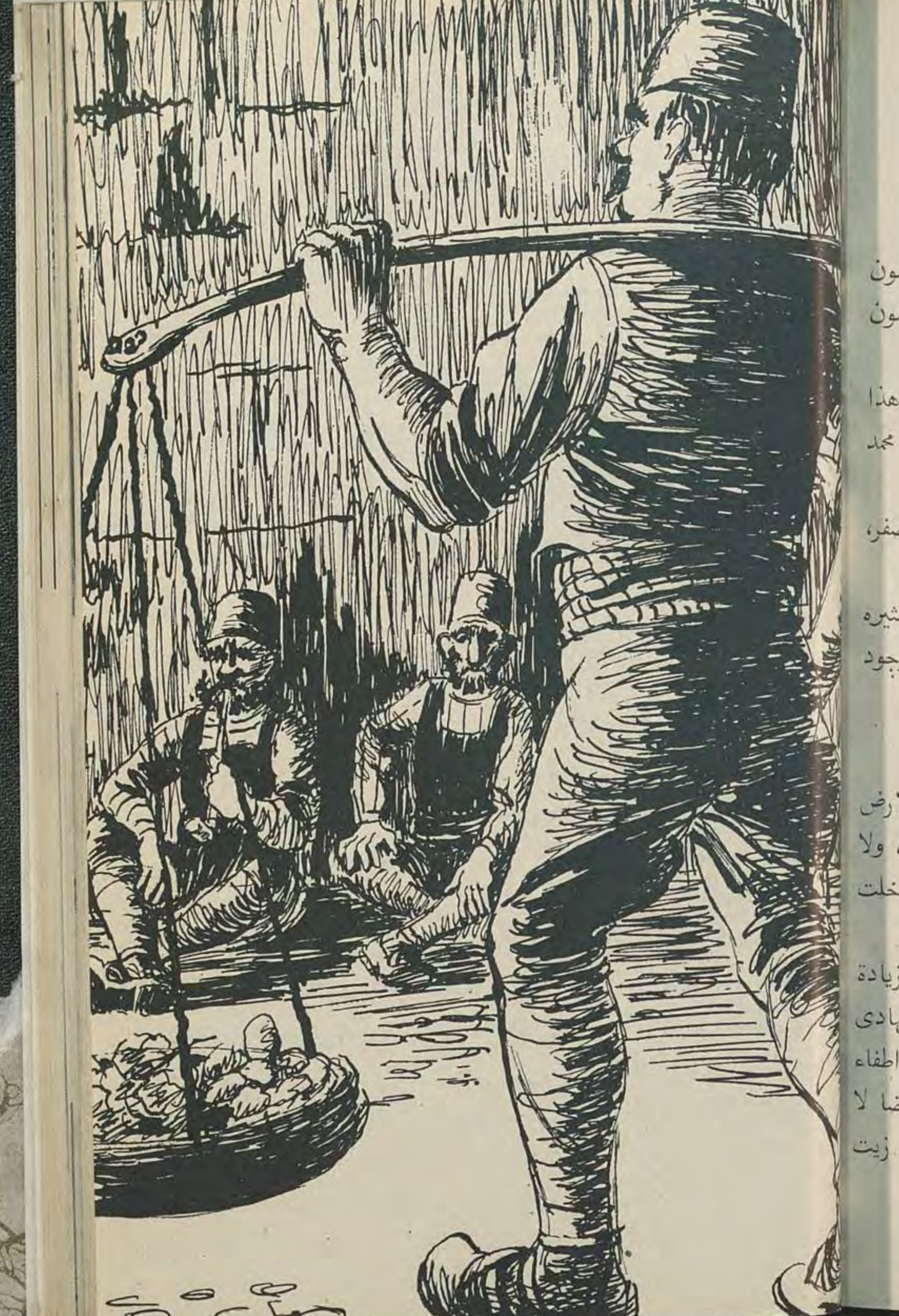
وليس لون الافق الذى يحد سهل قونية ازرق ارجوانيا بل هو اصفر، نعم اصفر .

قد تظن انه اكتسب هذا اللون من تأثير التراب الذى تثيره الرياح لكننى اخبرك بانه اكتسبه من شحوب لون زغر محمد الموجود بسجن قونية .

. . . .

لا يجنى الحصاد فى تلك البادية الا بعد عمل يدوى مرهق . فتلك الارض التى تعجز الجرافة ليس تنبت سوى عوسج وحشائش طولها بوصة، ولا ترضى الا بتعريض سطحها الذى احترق من قلة المياه عاريا لسماء خلت من السحب .

اما الطريق المائى الذى حفرته يد الانسان فما يفيد الا فى زيادة عطش هذه السهول الى المياه . فتلك المياه الطينية البطيئة التى تتهادى فى طريقها عابثة وكانها غضبى لجريانها فى ذلك المكان لا تقصر عن اطفاء عطش الارض التى تصرخ شقوقها تطالب الماء فقط بل هى ايضا لا تعوضها شيئا بما تجلبه من بخار ورطب . فهى اشبه بنهير من زيت الزيتون ينطلق فى بطء وغم فى مجرى عكر .





وفى قرى ذلك السهل المحرشة، تلك القرى التى تشابه اكواما من الرماد، يكدح رجال قد امتلأت ايديهم من العمل بالقروح ولفحت الشمس وجوههم، يعملون ويكدون ليستخلصوا من تلك الارض الضنينة قليلا يتقوتون به .

وتقع قرية ديدمكوى على مقربة من القنال لكن المياه بعد ما غادرت بحيرة بكشهر ما تكاد تصل القرية حتى تكون قد تناقصت فى المقدار الى ما لا يكفى لرى حديقة خضروات فى حجم المنديل ناهيك بفدادين عديدة من الحقول .

وهكذا تجد الاوجه المبتسمة والعيون التى تفيض بالبشر اثناء موسم الامطار تتجعد وتعبس فى سنى الجفاف . تجد هذه العيون تسلط ابصارها على مياه القنال الصفراء لا هى تتركها ولا هى تنتظر منها عونا اذ تدرك عبث مثل هذا الرجاء . اما موسم المطر فلا يحل الا كل خمس سنين مرة .

. . . .

كان محمد الديدمكاوى وزغر محمد جارين ولم يكن بينهما فارق فى العمر . لقد لعبا فى طفولتهما سويا فوق رمال الارض القفراء وتمرغا معا فى تراب الشارع وعفاره . وقاما معا وهما يحملان عصيا تفوقهما طولا يسوق ابقار عجفاء الى القطيع الذى اعتاد ان يمر باطراف القرية، ومعا يضا كانا يقومان بالقاء الطوب على الضفادع فى القنال .

وعندما تقدم بهما العمر بعض الشىء اعتادا الذهاب مع اميهما الى السوق لبيع السمن واللبن الزبادى . وكانا يذهبان سويا لجلب الاخشاب ن الجبال فى رحلة تقطع فى سبع ساعات على ظهور الحمير بل كانا يبيعان هذا الخشب فى حضرة كليهما واذا ما تمكنا من بيعه بما يزيد عن سعر السوق ببضعة قروش لموظف من منطقة اخرى غير خبير بالاسعار كانا يبتاعان من نفس القماش قطاعين يصنعان منهما لنفسيهما قميصين تشابهين .

وكحدثين كانا يذهبان الى الافراح سويا ويشاهدان النساء يرقصن . كما هو الحال مع كل رجال الاناضول الاوسط كانت الصداقة بين هذين لرجلين صداقة صامتة خلت من العبارات لكن بدت ظواهرها منذ فجر بابهما فى اعتيادهما السير جنبا الى جنب ويد الواحد منهما فى يد آخر .

وبتقدم العمر بهما جعلت الرزانة التى يمتاز بها من يكدحون لاستخلاص ردهم اليومى من الارض، علاقتهما اكثر ابتعادا عن المظاهر . عندما كان من نصيبهما تحمل مسئوليات الاسرة قل لقاؤهما عن ذى بل . كان زغر محمد قد تزوج اما محمد الديدمكاوى فان اباه قد مات تركه يعول امه واخته الكبرى واخا اصغر يبلغ من العمر ثمانية عشر بيعا .

كان يحدث احيانا ان يجتمع الصديقان القديمان عند اقتراب الليل ن جوار حائط المسجد حيث يجلسان يشاهدان القطعان عائدة ى القرية وكانا يظلان الى ما يقرب من نصف ساعة ساكتين لا يتبادلان

اية كلمة ثم ينظر الواحد منهما الى الآخر ولا ينطلق على وجهيهما سوى ابتسامة ثم يخلفان جلستهما ويعودان الى منزليهما .

واخيرا كيما يضيفا الى الايدى العاملة فى المنزل تزوج محمد الديدمكاوى واخوه مصطفى فى يوم واحد فحضرت عروستان لم تزالا فى العشرين من عمرهما للاقامة تحت سقف البيت الواحد المبنى من اللبن .

وهكذا سارت الحياة فى مجراها، كما كانت تسير منذ قرون مضت على شكل كفاح هادئ من اجل استخلاص بلغة طعام من ارض شحيحة .

وفى غمار التفكير فى الطعام واستئثاره بكل ما عداه اخذت الصداقة والنزهات تنطوى رويدا فى طيات النسيان وتهوى تدريجيا وراء سحبه الى درجة انه بمرور الوقت تغدو ممحاة حتى من الذاكرة .

. . . .

وفى ذات يوم ذهب زغر محمد ليروى حقله من القنال فوجد المجرى خلوا من الماء ليس به الا طبقة من طمى اصفر . عند ذلك رفع رأسه وبدأ يتطلع الى القنال ثم نظر الى حقل محمد الديدمكاوى الذى علا حقله قليلا فوجد انهم قد اقاموا على المياه سدا وانهم مشتغلون برى ارضهم .

عند ذلك ارسل زغر ابنه البالغ من العمر ست سنين اليهم فانطلق الطفل يجرى عارى القدمين فوق سماد البقر الجاف الى ان وصل الى حقل محمد الديدمكاوى فنادى عليهم قائلا «الوالد يقول يجب عليكم ان تطلقوا المياه» .

لم يجب محمد فانتظر الطفل لحظة ثم قفل راجعا يجرى الى حقله .

وبعد ذلك وقف المحمدان يرقبان بعضهما عن بعد لا يزيد عن مائة وخمسين ياردة .

لقد افصحت تلك النظرة عن اشياء كثيرة لكن اول واهم ما نتج منها هو انه منذ ذلك اليوم قد نشب بينهما خلاف لا سبيل لتسويته . لم تحو النظرة اى حقد اذ لم يحدث بينهما ما يسببه . لم يكن فى تلك النظرة سوى

شبح خلاف منشؤه الأرض والماء، شبح يسدل السواد على افكار الرجال . بل لعل النظرة حوت ايضا شيئا من الحزن، حزن مبعثه ادراكهما تحتم تبادل ضربات قاضية كيما يمكن الاستمرار على الحياة ويتيسر الاحتفاظ بتلك القطعة الشحيحة من الارض الطباشيرية، كيما يمكن استخراج ملء يد من الحبوب من هذا الحقل المقسم .

اذ فيما عدا ذلك لم يكن بين الرجلين ما يسبب الحقد .

لم يكن فى وسع زغر محمد ان يقف فى وجه الاخوين ولذلك كان السلم غرضه الاول، لكنه كان يعلم ان ذلك محال وان المياه لن تكفى بما يرضى حاجة الطرفين . ولذلك ايضا لن يرد محمد الديدمكاوى على رسالته .

ومع ذلك فقد انتظر زغر محمد . ظل يذهب الى حقله ويراقب مجرى الماء وما فى قاعه من طمى اصفر جاف ثم يوجه بصره طويلا الى محمد وهو يسير فى حقله . ينتظر ويتطلع الى السماء يبحث عن السحب، واستمر على انتظاره .

اما السنابل، السنابل الهزيلة فقد صارت تنكمش تدريجيا حتى غدت لا تزيد عن الشبر طولا .

بعد ذلك اقلعت الشمس عن كل وظائفها وركزت اشعتها على تلك البقعة الصغيرة فى منطقة البادية تجفف ذلك النقع الاخضر الصغير . تحت اشعة الشمس راحت تلك الوريقات الرقيقة ترتجف ارتجاف لسان لهب ارهقته الحرارة .

ولم تنم تلك السنابل الى ما يزيد عن الشبر طولا، تلك السنابل الصغيرة البائسة . اما السنابل فى حقل محمد الديدمكاوى فقد نمت ووصلت طولها الى الركبة هذا بينما الشمس مركزة اشعتها على حقل زغر محمد حيث بدا لون السنابل التى لا تزيد عن الشبر طولا يميل الى الصفرة .

كان فى جمرة مكتب لمراقبة توزيع المياه، وكان للمكتب رئيس وكان

له جباة لضرائب المياه وموظفون آخرون وبالرغم من ذلك لم تمر حتى ولا نقطة واحدة من مياه القنال وراء حقل محمد الديدمكاوى .

رأى زغر محمد ان زوجته ووالدته البالغة من العمر ستين عاما اللتين تعملان فى الحقل منحنيتى الظهر طوال النهار وكذلك ابنه البالغ من العمر ست سنين رأى الكل قد علا الشحوب وجوههم كما هو الحال مع السنابل التى ضربت لونها الى الصفرة وهى لا تزال فى طول الشبر فتفكر زغر وانتظر. وليس هناك من يعلم كنه ما يدور فى خلد فلاح فى البادية ولا ما ينتظر من اجله .

. . . .

وفى باكورة صباح ذات يوم حمل زغر بندقيته وانطلق الى الحقل وانبطح فى المجرى الجاف الى ان رأى محمد الديدمكاوى واخاه فاطلق خمسة اعيرة .



وليس هناك شيء اسهل من الموت والقتل في تلك الحقول الجدباء .
طلب زغر محمد من زوجته التي اقبلت مسرعة ان تفتح مجرى القنال وان تروى الحقل وأخبرها انهم منذ ذلك اليوم لن يتركوا احدا يحجز مياه القنال لانه لم يبق من رجال الحقل الأعلى احد .
وبينما زوجته في طريقها الى السد المقام على القنال لتزيله صاح عليها من ورائها يوصيها بأن مواهب الطفل يجب الا تضيع وطلب منها ان تحضره في فترات ليزوره في السجن والا تسيء معاملة والدته العجوز .
وعند ذلك جلس زغر على طرف الحقل واطال النظر الى زوجته وهي تفتح طريق المياه منتظرا حضور الشرطي وشيخ البلد اقبلا من بعد متجهين اليه .

. . . .

فمياه قنال ديدمكوى حمراء قانية — حمراء في لون دماء محمد الديدمكاوى واخيه مصطفى . والافق الذى يحد سهل قونية اصفر اللون — في لون بشرة زغر محمد . وكان في السجن راع من ديدمكوى حكم عليه بالسجن عامين بناء على ادلة سماعية تفيد انه سرق شاة لان سيده لم يعطه اجر عام . وقد اعتاد الراعي ان يغني اغنية ديدمكاوية لزملائه المساجين الذين يلتفون حوله في مكان لا يبعد عن زنزانة زغر محمد، كان الراعي يغمض عينيه ويلقي برأسه الى الوراء وينشد

«يأتي الموت ويحوم امام دارنا،
فتتبلبل العروستان وتثغيان كثغاء الغنم .
لا تغسلوا اجسامنا ودعوا دماءنا تجرى
اتركوا اصدقاءنا ينتحبون
واعداءنا يشاهدون ويتفرسون . »

ولأن زغر محمد لا يطيق الاستماع الى تلك الاغنية فقد اعتاد الراعي ان يسكت اذا ما ظهر شبحه من بعد .

(مترجم من الاصل التركى .)

أوراق البردى والمخطوطات العربية
بمكتبة چون ريلاندز بمانشستر
بقلم الاستاذ ادوارد روبرتسون

أغلب مجموعة أوراق البردى والمخطوطات العربية قد اشتريت من الايرل كروفورد فى سنة ١٩٠١ وكان هو قد اشترى أوراق البردى قبل ذلك بمدة وجيزة وأما المجموعة النفيسة للمخطوطات العربية فكان قد بدأ بتكوينها جده الاعلى فى أثناء ترحله فى مصر وسوريا فى سنتى ١٨٣٦ و ١٨٣٧ ثم زيدت هذه المجموعة بالحصول على ما جمعه ناثانيال بلاند والكولونيل و. ج. هاملتون، كما أنه ابتيعت مخطوطات أخرى من مكتبة كل من المستعربين الذائعى الصيت كوسان دى برسفال وسلفستر دى ساسى. ثم إن الدكتور ا. منجانا الذى رتب فهرستا للمخطوطات لمديرى المكتبة حصل أيضا على عدة مخطوطات أخرى فى خلال رحلاته فى الشرق الأدنى فى سنتى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ وفى سنة ١٩٢٩.

ومجموعة أوراق البردى العربية مجموعة خليقة بالاهتمام، فهى تتكون من عدد وفير جدا من القطع التى جمع أغلبها من كومات الأنقاض القديمة بمصر وهذه هى قطع مما طرح من الخطابات والوثائق الرسمية والحسابات والوصولات والسجلات وما إلى ذلك، فهى فى الحق مما يلقى به فى سلة المهملات فى كافة العصور. وأكثرها قد مزق قبل طرحه فى كومة المهملات. والكتابة تختلف فى قدرها من الجودة والخط عادة نوع فج من خط النسخ وكثير منها تتبين فيه اليد غير المثقفة. واللغة هى لغة الناس البسيطة فى حياتهم اليومية. واكثر القطع هى من خطابات كتبها ناس لا شأن لهم عن مسائل منزلية وشخصية تتجلى فيها من المشاغل والمصاعب والمسرات والأحزان ما تمتلىء به الحياة المنزلية للطبقة العادية من الرجال والنساء فى مدينة مصرية صغيرة فى عهد قديم. ويبدو أن

غلب القطع يرجع إلى القرن
الثالث الهجرى و إن كان
بعضها يرجع إلى القرن الرابع
قليل جدا منها إلى القرن
الخامس. فهى فى الحقيقة ترجع
إلى العهد الذى كان الورق
فيه قد بدأ يحل محل البردى
فى السوق. وفى سبيل حفظ
هذه المئات من القطع وتناولها
وضع أكثرها بين ألواح
زجاجية، وقد قام بقراءتها
وترتيبها فى فهرست الأستاذ
د. س. مرجليوث الذى توفى حديثا.



المدخل الرئيسى لمكتبة جون رايلاندز.

والمكان الذى يذكر أكثر من غيره فى هذه الوثائق هو أشمون وهى مدينة لا تبعد كثيرا عن المنيا فى صعيد مصر إلى الجنوب منها غربى النيل. والخطابات بعضها رسمى وبعضها شخصى، وفى خطاب منها يطلب إلى المرسل إليه أبى على الحسن ألا يدع الخطاب من يده قبل أن يركب إلى شنشور ليأمر الأقباط بدفع مائة أردب من القمح. وخطاب آخر يأمر عاملا من عمال الشرطة بالقبض على رجل من سكان رمجوس حاول الاحتيال على موظفين وبأن يعاقب معاقبة يكون فيها رادع للآخرين. وخطاب آخر يأمر باطلاق سجين إذ قد تقدم ضامن يضمن دينه. وكثير من الخطابات الممزقة تدور على الخراج إذ يشكو أناس مما حاق بهم من ظلم فى فرض الخراج، ثم إن موظفا يطلب إليه أن يقوم بالبحث فى شكوى من فرض الخراج على البعض ممن هم معفون منه، وما إلى ذلك. وتتهم امرأة لها ملك بعرقلة جابى الخراج فى عمله والامتناع عن دفع الضريبة إليه وإثارة الأقباط عليه، وهلم جرا.

وأما الخطابات الشخصية فهى عظيمة التنوع فى مضمونها . ففى أحدها يحض المرسل إليه على أن يعجل بارسال جارية . وفى آخر يشكو موظف صغير من أنه منذ وصول الحاكم الجديد لم يجد من وقته فراغا يخرج فيه إلى الشارع . ثم فى خطاب آخر يتوسل المرسل إلى عمته أن تلتمس من عمه السماح له بقدر من القمح . فهو يشكو ويقول إنه قد طرد من ملكه كما تنزع الشعرة من العجين وعرض إلى البرد والعرى والجوع . وفى خطاب آخر يطلب المرسل إلى صديقه أو وكيله أن يبتاع خبزا وزيتونا ويجهزها لشخص آخر حين يمر هذا صاعدا فى النهر . ثم هناك سيدة متغيبة عن منزلها تكتب عن مسائل منزلية فتأمر الجارية بجلب القمح من جرن الدراسة وبخزن الحب بعناية فى الجرار الصالحة، كما أن عليها أيضا أن تذهب إلى الاسكاف لعمل نعال لها . وهناك خطاب أرسلته أخت إلى أخيها الغائب تشكو من أنها لم يصلها أخبار عنه منذ غادر المنزل ، وتخبره بأنه قد تم جز الغنم وتقول إنه قد غادرها وأجراء البناء فى المنزل ولكن لم يترك معها نقودا لدفع أجرتهم، وتطلب إليه ألا ينسى أن يأمر الفخارى بخصوص تبليط المنزل . وتدور خطابات أخرى على إيجار المنزل وشراء العنب وما إلى ذلك. وهناك أيضا عقود مخرقة تختص بالمزرعات والدكاكين والأطيان الخ . فنحن فى الحق ننظر نظرة شائقة ممتعة إلى الحياة ونواحى النشاط فى مدينة صغيرة سكانها خليط من

القاعة الرئيسية للمطالعة بمكتبة جون رايلاندز .



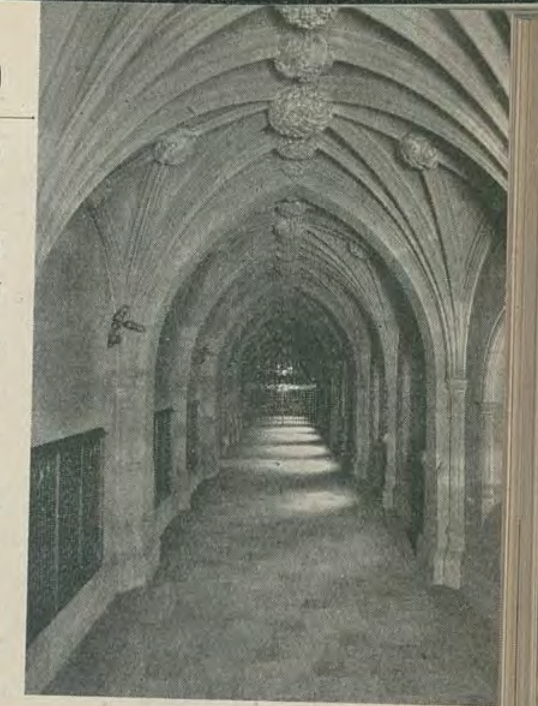


السلالم الرئيسية لمكتبة جون رايلاندز .

المسلمين والأقباط، ونجد أن مشاغل الناس ومشاكلهم لا يختلف عن مشاغلنا ومشاكلنا فى يومنا هذا إلا قليلا .

ولكننا إذا تحولنا إلى المخطوطات العربية وجدنا أنفسنا فى ميدان شديد الاختلاف. وعددها ثمانمائة، ولها من التنوع ومن القيمة الثقافية ما ينتظر من مثل هذه المجموعات. ومع أن الأدب الاسلامى هو الغالب فيها فان للأدب المسيحى قدرا صغيرا من التمثيل . ونستطيع أن نشير إلى سعة مداها فى الموضوعات : من القرآن وتفاسيره، وعلم العقائد من سنية فوهابية وصوفية ودروزية ونصيرية، والحديث بما فيه الأحاديث المختصة بعلى وعمر، والفقه من حنفى وشيعى ومالكى وزيدى، والتاريخ مما يتعلق بجزيرة العرب وسوريا والعراق ومصر والجزائر والمغرب الاقصى وافغانستان والهند، والجغرافيا والرحلات، والعلوم الطبيعية من طب وكيمياء وتاريخ طبيعى ورياضيات وفلك وتنجيم، والفلسفة والأخلاق، والشعر ومنه عدة دواوين، والادب، واللغة من نحو وصرف ومعاجم، أضف إلى ذلك عددا عظيما من الموضوعات المتنوعة . والمخطوطات تتفاوت بالطبع فى قيمتها، ولكنها جميعها ذات أهمية وقيمة للمتخصصين فى الدراسات العربية . وفى هذا العرض الموجز لا نوجه اهتمامنا إلا إلى بضع مخطوطات تتطلب ملاحظتنا لأسباب شتى .

فهناك قطع من القرآن مكتوبة بالخط الكوفى على رق غليظ وهى ذات قيمة أثرية عظيمة، وأغلب الظن أنها ترجع إلى ما بين آخر القرن الثانى



دهليز ذو أروقة فى المكتبة .

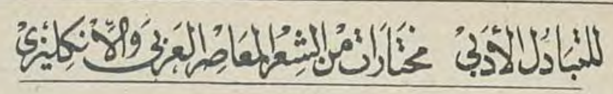
الهجرى وآخر القرن الرابع . وأقدم هذه القطع تشمل قسما كبيرا من الجزء الخامس والعشرين، وفواصل آياتها ورود صغيرة مذهبة . ويكتب التنوين نقطتين حمراوين، وتكتب الهمزة نقطة خضراء . ومن الشائق أن نلاحظ أن أسماء بعض السور فى هذه القطع مختلفة عن الأسماء المستعملة الآن .

وإنه وإن كان جميع الناس يفخرون بتحلية نسخ كتبهم المقدسة فان الخط العربى بشرطه الجميلة الأنيقة ينسجم فى شكل زخرفى هو أشد أناقة من أى خط آخر . وفى المجموعة الريلاندزية ثلاث نسخ من أقسام من القرآن ذات حروف ذهبية بديعة فاخرة . وإحدى هذه النسخ هى مخطوطة مغربية جميلة مكتوبة بتمامها بحروف كبيرة من الذهب ولها زخارف ذهبية تبين الأحزاب وأقسامها . والصفحتان الأوليان محلاتان بالذهب والألوان تحلية دقيقة فائقة . وتاريخها هو على أغلب الظن حوالى سنة أربعمائة هجرية . وهناك أيضا مصحف عظيم القيمة هو المخطوطة الضخمة التى تحمل خاتم قانصوه الغورى السلطان المملوكى قبل الأخير لمصر وهو كان يبذل المال بسخاء . وأغلب الظن ان المصحف كتب بناء على طلبه بعيد سنة ست وتسعمائة هجرية . وهذه المخطوطة مكتوبة على أربعمائة وسبعين ورقة عظيمة الحجم والسمك ويقال إن هذا المصحف أعظم مصاحف العالم حجما . والصفحات الثلاث الأولى مكتوبة بتمامها بحروف ذهبية . والعنوان شديد التنميق والزخرفة وقد نزع قسم من هذا العنوان واستبدل به قسم فرنسى حديث الكتابة يحاول به الحلول

ل القسم الأصلى . ويختلف عن هذا
لصحف اختلافا شديدا مصحفان آخران
سلان مكتوبان على أدراج صغيرة ،
حدهما طوله أحد عشر قدما ونصف قدم
ين يدرج لا يتجاوز قطره ستة عشر
ليمترا، ويرجع هذا المصحف إلى حوالى
نة ١١٥ هجرية، ويغلب على الظن
ه صنع كتميمة لأحد الأمراء . وهناك
طوطة أخرى ذات قيمة ترجع إلى حوالى
قرن التاسع الهجرى مصحوبة بترجمة
رفية فارسية وتركية مكتوبة بين السطور .
لترجمة التركية فريدة فى نوعها وذات
مية لغوية عظيمة .

ومن مخطوطات علم العقائد مخطوطة
يدة فذة ذات قيمة عظمى وهى المؤلف
دالى الذى ألفه الطبيب على بن ربن
لبرى (وهو غير الطبرى المؤرخ) . وقد
ن المؤلف كاتبا للمازيار الذى حكم
رستان فى خلافة المعتصم (٢١٨—
٢٠ ه) . وبعد ذلك صار المؤلف أحد
ماء الخليفة المتوكل وهو يعترف فى كتابه
الخليفة قد ساعده فى تأليفه . وهذا
تاب تقرير بأن الاسلام أسمى من كل
يان الأخرى وبخاصة المسيحية
هودية والزردشتية . وقد قام بنشر
ن الدكتور منجانا . وهناك أيضا

دفعة إيجار فى سنة ٣٠٦ هجرية، مأخوزة من مجموعة أوراق البردى للعقود بمكتبة جون رايلاندز.



الان

غداً ارد هبات الناس للناس
وعن غناهم استغنى بافلاسى
واسترد رهوناً لى بذمتهم
فقد رهنت لهم فكرى واحساسى
ورحت اتجر فى اسواق كسبهم
فما كسبت سوى هم ووسواس
وكم فتحت لهم قلبى فما لبثوا
ان نصبوا بعلهم فى قدس اقداسى

غداً اعيد بقايا الطين للطين
واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للموتى ومن ولدوا
والخير والشر للدنيا وللدين
وألبس العرى درعاً لا تحطمه
ايدى الملائك او ايدى الشياطين
فلا تروعنى نار الجحيم ولا
مجالس الحور فى الفردوس تغرينى

غداً اجوز حدود السمع والبصر
فادرك المبتدا المكنون فى خبرى
فلا كواكب الا كان لى سبل
فيها، ولا تربة الا بها اثرى
لى فى التضاء قضاء والمنون منى
وفى ملاحمة الاقدار لى قدرى
غداً؟ . . ولا امس لى حتى اقول غدا
فلتمحها الآن من نطقى ومن فكرى

ميخائيل نعيمه (الاديب : تموز ١٩٤٣، ص ٣ .)



NOW

To-morrow I shall yield again
Such gifts as I received of men :
I shall not need their hoard of pence
In my abundant indigence,
But therewith purpose to redeem
The thought I pledged, my mortgaged dream.
I trafficked in their gainful mart,
But all I gained was grief of heart
And cheated hope ; infatuate,
I opened wide my spirit's gate,
But they that to its altar won
Set up their golden calf thereon.

To-morrow clay to clay must be
Restored : from vain surmise set free
On wings unchained the soul shall soar.
Death to the dead, the loins that bore—
All good and ill I shall assign
To judgment human and divine.
My nakedness shall be my shield
Invincible, that will not yield
To angel's charm or devil's might :
No flaming Hell will me affright,
Nay, nor the company entice
Of dark-eyed maids in Paradise.

To-morrow I shall further fare
Beyond the borne of sense, to where
Dwells the far percept of the mind :
Among the stars my path shall wind,
And not a clod but will proclaim
There lies a relic of my name.
Doom spells my doom, and Death my death ;
Yet 'tis my fate, while I have breath,
Against the Fates to wage affray.
To-morrow ? Why, since Yesterday
Was never mine, let Now make naught
To-morrow in my speech and thought.

A.J.A. MICHAEL NAIMA.

الأطرزة فى صناعة النسج المصرية - ٢

يقول و. م. فلندرز بترى فى كتابه (الفن الزخرفى المصرى) (لندن ١٨٩٥) فى الصفحة التاسعة :

«إننا نستطيع أن نستكشف مصدرا لأكثر العناصر المألوفة من أشكال الرسم فى الزخرفة التى كانت مستعملة فى مصر قبل أن يعرفها العالم الخارجى بزمن طويل . فاننا إذا أردنا أن نعثر على أصل تلك الموضوعات ومنشأها وجب علينا وجوباً منطقيا أن نتتبع هذه الأصول فى مصر. وهكذا إذا بحثنا عن المنبع الذى صدر عنه أكثر عناصر الزخرفة المتنوعة التى تكسو حيطاننا وأراضينا وصحوننا وغلافات كتبنا بل محطاتنا الحديدية لزم علينا أن نبدأ بدراسة مصر . »

ونحن فى مقالة سابقة قد وصفنا موضوعين زخرفيين هما الحيوان ذو القرنين والطائر، وهما موضوعان يتكرران ويترددان خلال التاريخ الطويل للفن المصرى من العصور السابقة لفجر التاريخ حتى يومنا هذا، كما أوضحنا كيف ترك هذا العنصر التقليدى أثره على منتجات الفنانين فى مواد مختلفة خلال كل هذه الحقبة . ونحن الآن نحاول أن نتم هذا الوصف الاجمالى العام بدراسة موضوعين آخرين هما أيضا عامان ومألوفان، وهما



لوحة رقم ١ — رأس الصولجان للملك العقرب. (ستيوديو لمتد .)



ة رقم ٢ — زهريات خزفية من العهد السابق للأسرات . (ستيوديو لمتد .)

شجرة والزهرة . ولقد تنوولا ونميا فى أشكال مختلفة تفوق العد على يد فنانى
ر وصناعها، وسنهتم بنوع خاص باستخدام هذين الموضوعين فى تصميم
م الأنسجة . وسنحلى هذه المقالة كما حلينا سابقتها بزخارف للأنسجة
نعها حديثا طلبة مصريون يتمون بانجلترا إعدادهم الفنى .

والمرء إذا أدرك ما تقدمه النخلة — تلك الظاهرة المألوفة البديعة
سن فى الطبيعة المصرية — نقول إذا أدرك ما تقدمه من
الات زخرفية واسعة المجال فانه يدهش إذ يجد أنها لم تستخدم فى
صور القديمة كموضوع فنى إلا استخداما ضئيلا . وفى لوحة (١) نرى
ولا فجا بعض الشىء للنخلة على الرأس الصولجانى للملك العقرب،
ع هذه القطعة إلى عصر ما قبل الأسر. والشكل تقليدى يتضمن
ن مزايا التصميم الحق . وأوانى الفخار التى ترجع إلى نفس العصر
حة ٢) أكثر بساطة وفجاجة ولكنها مفعمة بحيوية وروعة . ولكننا
قارنا هذين المثالين بالشكل النسيجى الذى ابتكرته الآنسة فتحية
نة (لوحة ٣) رأينا على الفور مبلغ سعة المجال الذى يفتحه هذا
نوع أمام الفنان الحديث . ومن العجيب أيضا أن ما يتجلى فى
كل القيم الذى وضعته الآنسة إجلال حافظ من الجمع بين الورقة
نة حول الجذع (لوحة ٤) جمعا بديعا على بساطته — من العجيب أن
لم يستعمل فى مصر القديمة إلا استعمالا قليلا . حقا إن التناول

التقليدى للورقة مألوف وبخاصة فى الزخارف المعمارية . ونذكر لهذا مثالين أحدهما (لوحة ٥) من العصر المسيحى القديم وثانيهما (لوحة ٦) من جامع ابن طولون . وفى الشكل البديع الذى وضعته الآنسة عطية عويس نرى جمعا رائعا بين سعف النخلة وعنقود البلح، وهو موضوع يعرفه كل من درس فن الأسر الأخيرة (لوحة ٧) .

وليس من موضوع فنى فى الفن القديم يبارى فى شيوعه وانتشاره أو فى غزارة الصور المتنوعة التى عرض فيها موضوع زهرة اللوتس . بل إن بعض الخبيرين قد اعتقدوا أن هذه الزهرة هو أصل كل الأشكال الزخرفية . ويبدو من المؤكد أن زهرة اللوتس أو زهرة أخرى تشابهها كزهرة نبات البردى مثلا قد استعملت فى الزخرفة فى مصر قبل أن تستعمل فى أى قطر آخر من أقطار العالم حتى الهند نفسها . ومهما يكن من الأمر فاننا نجد هذا الموضوع معروفا فى عصور ما قبل الأسر، وهو يتردد خلال الأسر المتعاقبة . ولا يسمح لنا الفراغ هنا إلا بأن نقتبس



لوحة رقم ٣ — نموذج للنسيج من عمل الآنسة فتحية خليفة .

لوحة رقم ٤ — رسم للنسيج من عمل الآنسة إجلال حافظ .





حة رقم ٥ — غطاء كوة
باويت .

الين أو ثلاثة . فهناك الزرد المشهور لأمنحتب الثانى ذو النسيج
زركش (لوحة ٨) وله أهمية خاصة إذ أننا نجد فيه شكلا نسيجيا حقا،
هو الآن محفوظ فى متحف الآثار المصرية بالقاهرة . كما أن كنوز توتعنخ
ون تحتوى بطبيعة الحال على نموذج فائق الجودة (لوحة ٩) عرض فيه
ذا الموضوع عرضا كاملا لا فجاجة فيه، وهو رسم رائع التهاويل تنوول
الموضوع الأساسى فى اشكال بديعة التنوع . فاذا وصلنا إل العصور
سلامية وجدنا زهرة اللوتس قد استقرت فى أسلوب جامد وعرضت
سب متميز، ومثال هذا اللوحة الخشبية المأخوذة من أبواب القصر
كى للفاطميين (لوحة ١٠)، وهناك مثال حديث لزهرة اللوتس
وضوع فنى فى رسم الأنسجة وهو ما ابتكرته الآنسة اجلال حافظ من
ل بديع وإن كان بسيطا (لوحة ١١) . قارن بين روح هذا الشكل وبين
ج آخر بديع لنفس الفنانة (لوحة ١٢) وفى الشكل الأخير قد عرض
وع الطائر عرضا تقليديا ذا تناسب .

فالزهرة مصدر رئيسى للالهام فى فن التحلية على تعدد أنواعه
الاتها المتنوعة قد رادها الفنانون المصريون وبخاصة فى العهد

حة رقم ٦ — جزء من النقش المتكرر لأقبية الخلوة بجامع ابن طولون .



الاسلامى حين عرض هذا الموضوع فى كل نوع ممكن من أنواع العرض . ونحن هنا لا نقدم إلا بضعة من التصاوير، فهناك مثلا صهريج نحاسى من القرن السابع فائق الحسن مطعم بالذهب والفضة (لوحة ١٣) وهو الآن محفوظ فى المتحف البريطانى، وفى هذا الصهريج يتخذ نقش عربى إطاراً لشكل جميل متنوع من الأزهار. وهناك شمعدان برنزى من القرن السابع مطعم بالفضة (لوحة ١٤) وفيه تأليف مشابه للسابق (وهو الآن فى متحف فكتوريا وألبرت بلندن) . وهناك مصباح زجاجى مطلى بالمينا من مصابيح المساجد يرجع إلى نفس العهد (لوحة ١٥) وكل زخرفته بأجمعها من نفس الزهرة معروضة فى اشكال متنوعة وهى زخرفة جميلة جدا . وقد حسن بنا أن نختم هذه المجموعة بمثالين



لوحة رقم ٧ — نموذج خلاب للنسيج مؤلف من خوص النخيل وعناقيد البلح ، من وضع الآنسة عطية عويس .

لوحة رقم ٨ — قطعة من نطاق من النسيج الموشى لأمنحتب الثانى، وهى محفوظة الآن فى متحف القاهرة . (ستيوديو لمتد .)





٩ — توت
و زوجته ،
أمون ، فى
بأكاليل

لتد .)

١٠ — إفريز
أبـواب
السلطانى

لتد .)



لوحة رقم ١١ — رسم مقتبس من زهرة اللوتس، من وضع الآنسة إجلال حافظ .

لوحة رقم ١٢ — مخمل حليته طير، على رسم متناسق، من وضع الآنسة حافظ .



حديثين . فالآنسة عويس تقدم إلينا شكلا نسيجيا (لوحة ١٦) يتجلى فيه التأثير الأوربى الشديد ولكنه مع ذلك يحتفظ بروحه المصرية الصميمة كما يتضح إذا قورن بلوحات ١٣ و ١٤ و ١٥ وفى شكل آخر ابتكرته الآنسة خليفة (لوحة ١٧) نجد نفس الموضوع الأساسى ولكن التأثير العصرى يتجلى فى ما يحيط به من عمل جميل

هنا نتم هذا العرض الموجز القصير للموضوعات الفنية فى أشكال الأنسجة المصرية، ولكننا لا نضع القلم دون أن نعبر عن أصدق شكرنا للفنانات الثلاث اللاتى تكرمن بالسماح لنا بطبع مبتكراتهن هنا . فهؤلاء الفنانات قد واصلن دراساتهن فى انجلترا فى الحرب الحاضرة وظروفها الشديدة القاسية . وتحملن مع شعب هذه البلاد كل المصاعب



رقم ١٣ — صهريج نحاسى يرجع إلى القرن السابع، محفوظ فى المتحف البريطانى، حلية بالخط العربى والزهور مطعمة بالذهب والفضة .

رقم ١٤ — شمعدان من البرنز مطعم بالفضة، وهو الآن فى متحف فكتوريا وألبرت.
رقم ١٥ — مصباح مسجد من الزجاج المطلى بالميناء، ضمن مجموعة فى فكتوريا وألبرت .

والأخطار التى جلبتها الحرب فى أعقابها . وإنه لمما يدل أوضح دلالة على ما لهن من موهبة طبيعية رفيعة وما اتسمن به من روح المثابرة والحماسة أنهن قد قمن بمثل هذا الانتاج الثمين القيمة وقدمن إلى أساتذتهن وأصدقائهن الانجليز الدليل على أن مصر لا تنفك بعد تاريخها الطويل المجيد رائدة للفنون الجميلة ولا تزال أما للفنانين رحبة الصدر ومصدرا غنيا للالهام فى عالم الرسم الزخرفى .

لوحة رقم ١٦ — نموذج نسيجى مؤلف من الزهور، من وضع الآنسة عطية عويس .



لوحة رقم ١٧ — نموذج آخر من الزهورية، من وضع الآنسة خليفة



جلال الدين الرومى

بقلم مرغريت سميث

جلال الدين الرومى هو أعظم الشعراء الصوفيين بين الفرس، ويلقب بمولانا. ولد سنة ٦٠٤ هجرية (١٢٠٧ ميلادية) فى بلخ حيث كان والده بهاء الدين ولد على نصيب من العلم كبير وأستاذاً فى العلوم الدينية فى بلاط الحاكم خوارزمشاه الملقب تكش. ويقال إن هذا الحاكم داخله منه حسد فترك بهاء الدين مدينة بلخ مصطحبا أسرته ويروى أنه بينما كانوا مارين بنيسابور لاقوا الشاعر فريد الدين العطار الذى دعا للصبى بالبركة وأهداه نسخة من كتابه (أسرار نامه) اى كتاب الاسرار.

ذهبت الأسرة حاجة إلى مكة وبعد ذلك استقر بها المقام فى قونية فى الاناضول التى كانت تسمى بلاد الروم ومن هنا تسمية جلال الدين بالرومى. ويقال إن جلال الدين ولما يزل صبيا كان يصوم وكان يرى رؤى وإنه علم اقرانه الصبيان الفلسفة. وفى بادىء الأمر قام والده بتعليمه كما أنه تلقى العلم على الشيخ برهان الدين الترمذى الذى علمه مبادىء التصوف ولما توفى والده فى سنة ٦٢٨ هجرية خلفه فى منصبه كأستاذ وانكب بكليته على دراسة التصوف ورحل الى حلب ودمشق حتى يتبحر فى العلم.

وبعد ذلك استزاد من علم التصوف بدراسته على شمس تبريز المعروف بلقب پرنده وكان قد جاء إلى قونية فى سنة ٦٤٢ هجرية وذلك لأن مرشده الروحى أخبره فى تبريز بان فى أرض الروم صوفيا يتألق بالحب الالهى وأن عليه أن يرحل ثم وينفخ فى هذا الحب المتقد حتى يجعله شعلة نيرة فرحل شمس تبريز فى التو واللحظة الى قونية وبحث

عن جلال الدين حتى وجده وصار له عليه تأثير كبير وأصبح مرشده . وقد قضيا وقتا طويلا فى خلوة مع أحدهما الآخر حتى أحس تلاميذ جلال الدين بالحسد من شمس تبريز وأجبروه فى النهاية على الفرار ولكن زيارته لجلال الدين نجم عنها أن جلال الدين اعتزل منصبه كأستاذ وحبس نفسه على التصوف .

وفى هذا الوقت أنشأ جلال الدين الذكر الصوفى الذى يؤدى على نغمات الناى والذى نظم هو شعراً لغرض الانشاد فيه وكان هذا بداية طريقة الدراويش الذاكرين المسمين باخوان المحبة لأن أساس الطريقة ومبدأها الوحيد كان محبة الله . وقيل إن حركات الذكر ترمز إلى دوران الكواكب السيارة حول شمسها المركزية وانجذاب المخلوقات إلى خالقها .

ويبدو أن شمس تبريز عاد إلى قونية وقتل فى فتنة نشبت هناك . وتوفى جلال الدين فى قونية سنة ٦٧٢ ودفن فى التكية التى أسسها ولم يقتصر مشيعو جنازته وراثوه على المسلمين بل كان بينهم المسيحيون واليهود أيضا .

واشهر مؤلفات جلال الدين هى (ديوان شمس تبريز) الذى يشتمل على شعر غنائى بالغ فى العذوبة والرقة و (المثنوى) وهو قصيدة كبيرة فى كتب ستة يقال إن جلال الدين نظمها حين اقترح ذلك عليه تلميذ من تلامذته اسمه حسام الدين . وهذه القصيدة تحتوى على حكايات وقصص رمزية وامثال وخواطر الغرض منها شرح المذهب الصوفى وإيضاحه ويقال إن نظم هذه القصيدة استغرق أكثر من أربعين سنة .

وفى المثنوى يستعمل جلال الدين صورا متعددة مبتكرة جامعة بين رشاقة الصنعة وجلال الروح شديدة العمق فى عاطفتها وفى فكرتها . وموضوع القصيدة حب الروح لله مصدرها وكيف تعود إليه . ومقدمة الكتاب الأول تتحدث عن القصبة أى النفس تشكو انفصالها عن الله مصدرها .

والذات الالهية كما يتصورها جلال الدين حالة فى الكون وداخلة فى جوهره وليست مجردة عنه . فهو يقول فى المثنوى :

يا خفيا قد ملأت الخافقين قد علوت فوق نور المشرقين
أنت سر كاشف أسرارنا أنت فجر مفجر أنهارنا
يا خفى الذات محسوس العطا أنت كالماء ونحن كالرحا
أنت كالريح ونحن كالغبار تختفى الريح وغبراها جهار

ثم يسترسل الرومى فى أبيات فارسية ترجمتها كالآتى :

أنت كالربيع ونحن فى نضارة الروضة المخضرة ، والربيع مختف بينما فضله واضح لكل بصر .

أنت كالروح ونحن كاليد والقدم ، وقبض اليد وبسطها من عمل الروح .

أنت كالعقل ونحن مثل لسانه ، وهذا اللسان يستمد بيانه من العقل .

أنت مثل السرور ونحن الضحك ، لأننا نتيجة سرورك المبارك .

كل حركة لنا ليست فى الحقيقة إلا شهادة بالايمان مستمرة ، تشهد لذى الجلال السرمدى .

الله هو الحى :

« فاختر حب ذلك الحى الذى يبقى أبداً والذى يسقيك من الخمر التى تنمى الحياة . »

وهو معطى السر ، وهو شمس متوهجة ، وهو نور الأنوار الذى إليه ... جميع المخلوقات .

«ونور الله تتألق منه انوار الحس ، وهذا معنى قوله تعالى «نور على ...» ، أما نور الحس فيجذبنا إلى الثرى ، وأما نور الله فيجذبنا إلى العلى . »

ومثل الله يرى فى كل الأشياء لأن الكون ليس إلا مرآة له :

« رأيت الأبد مرآة عامة لك ، وفى عينك رأيت نقش نفسى أنا . »

وفى شرحه لكنه الروح يعتقد أنها فى الأصل الهية وأنها كانت فى البدء متحدة مع الحقيقة العظمى :

«كنا جوهرا واحدا مثل الشمس، كنا بلا عيب وكنا فى صفاء الماء .»

وقد حجبت الشمس الالهية نفسها عن الانسان حتى يتجلى الموجود الخالص فى المعدوم إذ ان الشىء لا يتجلى إلا فى ضده فالنور يتجلى فى الظلام والوجود فى المعدوم. وهو يعتبر المرأة شعاعا من الله ويعدها كائنا خالقاً اكثر منه مخلوقا :

«هى شعاع من الله، هى ليست معشوقة، بل هى خالقة وليست مخلوقة .»

وما دامت الأرواح فى الجسم فى هذه الدنيا فهى كأسرى فى القيود واحتكاكها بما هو مادى قد عكر مرآة الروح، والروح لا تنطلق من أسرها هذا إلا فى الليل :

فى كل ليلة أنت تطلق الأرواح من شرك الجسد، وتمحو الآثار من على ألواح العقل .

الأرواح تحرر كل ليلة من قفصها، فتصير فارغة من الأحكام والكلام والقصص .

فى الليل لا يشعر المحبوسون بحبسهم، ولا السلاطين بدولتهم .

فلا غم هناك ولا تفكير فى الربح أو الخسارة، ولا خيال عن فلان وفلان .

هذه هى حال العارف حتى حين لا ينام، فقد قال الله «وهم رقود» فلا تنكر هذا .

فهو نائم ليلا ونهارا عن أحوال الدنيا، مثل قلم تقلبه يد الله .

ومن لا ير اليد تكتب يظن أن فعل الكتابة ناشىء عن حركة القلم .

صفحة مستخرجة من «مثنوى» (الكتاب الأول والثانى) من سلسلة ذكرى ك. ج. و. جيب، بتصحيح ر. أ. نيكولسون. لاحظ على الخصوص التعليقات التى بأسفل الصفحة، مما يدل على مبلغ العناية التى بذلت فى إخراج هذه الطبعة.

هان و هان این رازرا با کس مگو ۰ گرچه از تو شه کند بس جُست و جو

[۱۷۵] گورخانهٔ رازِ تو چون دل شود ۰ آن مُرادت زودتر حاصل شود

گفت پیغمبر که هرکه سِر نهفت ۰ زود گردد با مرادِ خویش جفت

دانها چون در زمین پنهان شود ۰ سرِّ آن سَرسَبزیِ بُستان شود

زرّ و نقره گر نبودندی نهان ۰ پَروَرِش کی یافتندی زیرِ کان

وعدها و لطفهای آن حکیم ۰ کرد آن رنجوررا ایمن زبیم

[۱۸۰] وعدها باشد حقیقی دل‌پذیر ۰ وعدها باشد مجازی تاسه‌گیر

وعدهٔ اهلِ کرم نقدِ روان ۰ وعدهٔ نااهل شد رنجِ روان

در یافتنِ آن ولی رنجرا و عرض کردنِ رنجِ اورا پیشِ پادشاه،

بعد زآن برخاست و عزمِ شاه کرد ۰ شاه‌را زآن شمّهٔ آگاه کرد

گفت تدبیر آن بود کآن مردرا ۰ حاضر آریم از پیِ این دردرا

مردِ زرگررا بخوان زآن شهرِ دور ۰ با زر و خلعت بده اورا غرور

(۱۷۴) A Bul. هان هان. (۱۷۵) A گر زخانهٔ راز. B Bul. چونك اسرارت نهان در. (۱۷۶) ABCL پیغامبر. AB این مرادت; so corr. in A and in marg. C. دل شود. B هرکو. (۱۷۷) L Bul. دانه چون اندر زمین. AL Bul. سرّ او. B سرّستان, and so corr. in C. (۱۸۰) Bul. وعدهٔ [illegible]. (۱۸۱) Bul. in first hemistich گنج روان. In BC گنج in written above نقد.

After the Heading Bul. adds:

آن حکیمِ مهربانِ کارگر ۰ یافت از رنجِ کنیزك چون خبر

L has the following verse:

ان حکیم مهربان چون راز یافت ۰ صورت رنج کنیزك باز یافت

(۱۸۲) B om. و. Bul. adds:

گفت شه پس چیست در تدبیر این ۰ می نماید خود خطر تأخیر این

(۱۸۵) The following verse in added in BL and in marg. C:

چونك سلطان از حکیم آنرا شنید ۰ پند اورا از دل و از جان گزید

Bul. adds:

چونکه این تدبیررا شه کرد گوش ۰ بود پندش زیور منگوشِ گوش

صفحة من القصائد المختارة من ديوان شمس تبريز، من إخراج مطبعة جامعة كمبردج فى سنة ١٨٩٨. والصفحات المقابلة للنص الأصلى فى الكتاب تحمل ترجمة إنكليزية لتلك القصائد السنية.

۲۱

Metre: مُضارِعِ مُثَمَّنِ اخرَب [-‒◡|-◡‒‒|-‒◡|‒‒‒◡]

V.

بدم نگارِ خودرا میگشت گردِ خانه

برداشته ربابی میزد یکی ترانه

زخمهٔ چو آتش میزد ترانهٔ خوش

ست و خراب و دِلکش از بادهٔ شبانه

پردهٔ عِراقی میزد بنامِ ساقی

مقصود باده بودش ساقی بُدش بهانه

ساقیّ ماهروئی در دستِ او سبوئی

گوشهٔ در آمد بِنهاد در میانه

پرکرد جامِ اوّل ز آن بادهٔ مُشعَّل

آب هیچ دیدی کآتش زند زبانه

کف نِهاد آنرا از بهرِ عاشِقانرا

له بکرد سِجده بوسید آستانه

C Lakh. TV

(V). ۴ بِنهاده

قد أظهر الله قسما من حالة العارف هذه، بينما الخلق يغمرهم
نوم الحس .

قد ذهبت أرواحهم إلى الصحراء التى لا وصف لها، واستراحت
أرواحهم وأجسادهم .

وإنك لترجعهم إلى الشرك بصفير، وترجعهم جميعا إلى
القضاء وإلى القاضى .

فالق الاصباح، مثل إسرافيل، يرجعهم جميعا من ديار الروح
إلى دنيا الصورة .

وواجب الانسان أن يصقل روحه من صدأ الهوى وحب النفس حتى تعكس صورة الله كالمرآة الصافية، ولذلك وجب على الانسان أن يتجمل بالصبر ويؤدب نفسه ولا ينفك عن الجهاد حتى يتطهر :

«اذا أنت تأففت من كل مسحة فأنى لك أن تصير مرآة
مصقولة؟ »

وهو يحكى قصة الصينيين واليونان الذين تخاصموا أمام السلطان أيهم هو أجود فنا، فأعطوا حجرتين باب أحداهما مقابل باب الأخرى وأعطى الصينيون عددا عظيما من الألوان وأما اليونان فقالوا إنهم لا يحتاجون إلى ألوان وإنما يقتصرون على إزالة الصدأ. فأغلقوا الباب واستمروا يصقلون الحجرة حتى صارت صافية كالسماء، وأما الصينيون فحينما اتموا عملهم دخل السلطان حجرتهم وبهرته الصور التى رآها، ثم جاء الى اليونان فرفعوا الستار وإذا بصور الصينيين قد انعكست على الحيطان التى قد صقلوها وازداد منظرها بذلك جمالا وبهاء. فاليونان يمثلون الصوفيين الذين صقلوا مرآة قلوبهم وطهروها فوصلوا إلى عين اليقين :

اولئك الذين يصقلون قلوبهم ينجون من مجرد العطر واللون،
وينظرون الجمال فى كل لحظة بدون تريث .

فهم قد هجروا نقش العلم وقشره، ورفعوا راية عين اليقين.
قد ذهب الفكر ووجدوا النور، وعثروا على نحر المعرفة وبحرها.

ثم يقول جلال الدين إن « روح الانسان مثل الهواء المختلط بالتراب يحجب السماء فلا تستطيع العين أن ترى الشمس، وحين ينقشع التراب يصبح صافيا طاهرا ».

وهكذا فطريق العودة الى الله انما يكون بتأديب النفس وتضحيتها وإماتتها. فجلال الدين يقول فى الديوان :

أيتها الروح صممى على نشدان الأمل مثل من ينشد الماء.
ويا أيها العقل اسلك طريق الفناء لتحصل على البقاء الدائم.
وتذكر الله دائما بكيفية تنسيك نفسك،
حتى تمحى الداعى والدعاء فى مدعوك بدون ريب.

ويقول فى المثنوى :

ما معنى تعظيم الله ؟ اعتبار المرء نفسه حقارة وخالية.
ما معنى توحيد الله ؟ حرق المرء نفسه بين يدى الواحد.

وإماتة النفس هى إحياء الروح فانه « حين يسقط الزهر يبدو الثمر وحين يحطم الجسم تعلو الروح، والخبز لا يمدنا بالقوة إلا إذا كسر والأعناب التى لا تدق لا تعطى خمرا ».

وهو يحث الروح على أن تستمر فى سعيها إلى الهدف المقصود ولا تتوانى :

أيها القلب لماذا أنت أسير هذه الأرض الفانية ؟ طر من هذه الحظيرة، فأنت طائر من العالم الروحى.

أنت محبوب الخلوة المقرب، أنت دائما خلف الحجاب السرى،
لماذا تقيم فى هذا المقام الفانى ؟

اعتبر حال نفسك وانطلق وسافر من حبس عالم الصورة إلى روضات المعانى.

خان مولوى، موطن الدراويش الذاكرين فى قونية .

قبر جلال الدين الرومى فى مسجد خان مولوى بقونية .

أنت طائر من عالم القدس ونديم فى مجلس الأنس، فان أنت أقمت هنا فوأسفاه .

فى كل صباح يأتيك صوت من السماء ينادى « إذا أنت نفضت غبار الطريق فستنطلق إلى هدفك المقصود » .

فى الطريق إلى كعبة الوصل انظر تجد فى كل أيكة من الشوك ألوفاً من قتلى الشوق ضحوا بحياتهم ببسالة .

ألوف سقطوا جرحى على هذا الطريق دون أن يصل إليهم نسيم من عطر الوصل كدليل من جوار الصديق .

والحب هو بيت القصيد فى مذهب الرومى فهو يرى أن الحب فيه لاصنا من الكبرياء والغرور وأنه هو الطبيب المداوى لكل عللنا، ك هو الحب الذى يغفل النفس ولا يذكر إلا المحبوب، والحياة الخالدة ا هى بالاغفال التام للحياة الفردية :

«ياحياة العشاق فى الموت، لن تجد قلبا إلا بعد أن يحطم قلبك . »

فالعاشقون المخلصون هم كالظلال والظلال تزول وتختفى حين تشرق مس فى أبهى نورها، و «العاشق المخلص هو ذلك الذى يقول له الله نا لك وأنت لى » . »

وبالحب يصير المر حلوا ويتحول النحاس إلى ذهب ويصفو العكر صبح الألم شافيا ويصير الموتى أحياء، والحب هو الحياة السماوية ن سطح الأرض :

العشق معناه الطيران فى السماء وتمزيق مائة حجاب فى سبيل النفس .

أولا تنزع النفس من النفس، ثم تفصل قدم عن قدم وأن تعتبر هذه الدنيا غير مرئية، وألا ترى منظر نفسك .

ولكن الغرض من الحب الذى يضحى بالنفس ويميت الذات هو صول على الحياة بمقدار أغزر . فانكار الذات يمهد الطريق إلى

ادراك هذه الحقيقة أنه ليس موجود إلا الموجود الواحد، أما زينة الحياة ومتعها ومشاغلها فتحجب الحقيقة عن أعين الناس، وعليهم أن يجوزوا ذلك الى الثمل الروحى الذى ينسى الناس أنفسهم ويرفعهم إلى تجلى الحقيقة الخالدة فى صورتها الرائعة البهية .

وهكذا يصل الصوفى إلى هدفه المنشود ويتحد مع الواحد، وهذا الاتحاد يرى الرومى أنه الحصول على الحياة الخالدة هنا وفى وقتنا هذا فقد انفلق صبح السعادة لأن نور الله يشع فى الروح :

« ذلك الذى قد حصل على مقام ومكان فى القرص، لا يزال يغرق فى نوره دائماً . »

وحين يحصل الانسان على الحياة المتحدة لا يعود هناك حاجة إلى الوسائل والشفاعات، فالمرسلون والأنبياء ضروريون لقيادة الشخص العادى إلى الله، وأما الشخص الذى يسمع الصوت الباطن فى داخل نفسه فليس هو فى حاجة إلى الكلمات الخارجية وهو أسمى وأروع حالاً من الأنبياء أنفسهم إذ أنه قد أصبح أحد أولياء الله الثملين بالذات الالهية فهو غارق فى جلال رب الجلال وهو متحد مع البحر اللانهائى للذات الالهية :

مكانى هو لامكان، وعلامتى ليست بعلامة، ليس هناك لا جسد ولا روح، لأنى جزء من روح الأرواح .
لقد طردت الاثنين من نفسى، ورأيت العالمين عالما واحدا، وبحثت عن الواحد، وعرفت الواحد، ورأيت الواحد، ودعوت الواحد .
هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الباطن، ولست أعرف آخر سوى « ياهو » و « يا من هو » .

فالله يقول إنه لسان الأولياء وعينهم وحسهم ونعيمهم وشقاؤهم فالصوفى بالاتحاد قد صار الذات الالهية نفسها وزال « أنا » و « أنت » وبقى الواحد :

لقد دبرت هذه المسألة مسألة «أنا» و «نحن» لكى تلعب مع نفسك لعبة العبادة .

حتى يصير «أنا» و «أنت» أى «نحن» روحاً واحدة، وفى الختام نستغرق كل الأرواح .

جلال الدين الرومى صوفى حلولى، وهو الى جانب ذلك من أعاظم شعراء وقد قيل عنه إنه بسمو فكره وعظمة أسلوبه يبارى أعظم الشعراء نائيين أضف إلى ذلك أن وضوح خياله يكسب شعره روعة فائقة .

والموضوع الرئيسى فى شعر الرومى هو حب الروح المبرح وهى تسعى تحاد بالله . والحب الأسمى فى رأيه هو ذلك الذى لا يرى نفسه الذى يتحمل كل الأشياء ويؤمن بكل الأشياء ويأمل فى كل الأشياء ويصبر كل الأشياء . وهو يرى أن الايمان الحقيقى يتولد من الحب، وأى آخر لا قيمة له . وهو عالمى، فأى انسان فى أية أمة ما دام يحب الله إرادته فهو مقبول عنده . وبواسطة التأمل الروحى والزهد الذى على الشعور بالذات وعلى الارادة الذاتية وكل تلك العواطف البشرية التى تسبب الانفصال عن الواحد الحق، بواسطة هذا ل الصوفى إلى فناء النفس ويدرك البقاء إذ يبعث من جديد بعثا يا فيحيا فى الحياة الالهية الخالدة وهكذا يتوصل الى الاتحاد بالمحبوب فيه إلى الأبد .

★

چون هنتر - الرائد البيولوجى

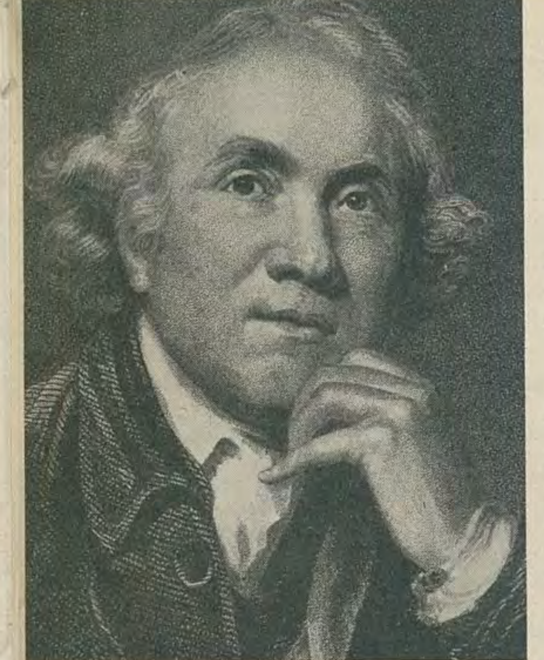
بقلم الاستاذ ا. ج. ا. كيف
متحف كلية الجراحين الملكية بانجلترا

(احتفلت كلية الجراحين الملكية بلندن هذا العام بمرور مائة)
(عام على تأسيس زمالتها بأن أضافت إلى سجل زملاء الشرف فيها)
(أسماء عدة من عظماء الرجال من بينهم المستر تشرشل . وهذه)
(المقالة تدور على احتفال تذكارى آخر تحتفل به الكلية هذا العام)

فى اليوم السادس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٧٩٣ حدثت الكارثة التى قضى فيها جون هنتر نحبه ولما يزل فى عنفوان نشاطه، ذلك الجراح الانجليزى الأعظم الذى كان أكبر عالم طبيعى بين أرسطو وداروين . وهو فى قوة عبقريته الطبيعية وفى نشاطه الذهنى المتصل وفى تعطشه الذى لا يروى إلى العلم الطبيعى لا يعلو عليه أحد اللهم إلا ليوناردو وحده .

وإن الطب العلاجى والعلم الطبيعى اليوم ليتجلى فى كليهما الطابع الذى لا يمحى لقدوة هنتر وتعليمه، وإن (التقليد الهنترى) الذى أنشأه لم يقتصر على إنقاذ كلا العلمين من بقايا ظلمات القرون الوسطى بل انه قد حدد الطريق التى كان عليهما بعد ان يسلكا . ولذلك نجد كلا من الجراح والعالم البيولوجى يشيدان بذكر هنتر وإن كانت أسبابهما مختلفة .

فهو قد رفع بفن الجراحة من تجربة الحلاق الفجة إلى جلال العمل المنظم المنطقى النبيل الذى يقوم على دعامة العقل والمبادئ العلمية . ثم إنه حدد البيولوجيا تحديدا جديدا فذا هو التحديد المورفولوجى، فجعلها امتحانا للاشياء الحية لا من حيث أنها غرائب أو مواد تصنف بحسب أجناسها ولكن باعتبار أنها النتائج التى تحصلت عليها الطبيعة بتجريبها



جون هنتر .

لخاص الذى لا يبارى فى أنسجة
اجهزة قابلة للتشكيل تحت ظروف
بيعية لا يمكن ان تقلد .

وهو إنما أصبح جراحا بضغط
الظروف المالية القاهرة وإن كان
طبيعته الحقة عالما طبيعيا بالمعنى
القديم الحكيم للعبارة، واليوم يسمى
هذا الصنف من العلماء علماء
مورفولوجيين أو فيزيولوجيين . وإنه
المؤكد أن الانقلاب الذى أحدثه فى وجهة النظر العلاجية وفى المهنة ذاتها
وهو ثانويا إذا قورن بانكبابه التام على اصول التفاعلات البيولوجية بل
اشتقا منها، تلك الأصول التى فى سبيل تحديد قوانينها الباطنة قد جاهد
بعزيمة رائعة لا تفتر مدى ثلاثين عاماً لم ينقطع حبلها إلا بوفاته .

ويمكن أن يلخص عمل هنتر فى هذه العبارة الصحيحة : أنه اختار
ميدانا لجولاته الفكرية ذلك المحيط الشاسع المجهول للطبيعة الحية بكليتها،
صمم على أن يكتشف أسباب العمليات التى تقوم بها الظواهر الحيوية،
أن يستغل ما يحصله من علم جديد فى علاج المرض . وهكذا كانت
حياته قصة رائعة عجيبة للكد الذى لا تخبو ناره والبحث الذى لا يكل
جعل عمله يتخذ هيئة الغرابة والشذوذ وذلك صاغ حياته العملية
. ثم أذهل معاصريه ممن لم يكونوا فى مثل استنارته . وهكذا كان مشتغلا
اهتمام متساو بعدد لا يحصى من الموضوعات الغريبة الشاذة التى لم
يحسب أن بينها ارتباط ظاهر، كالنحل واقتصادها . والحيتان وأجهزتها
التنفسية . وقوة السمع فى الأسماك . والحرارة الطبيعية للنباتات . والهضم

فى الحيوانات اللبونة التى تقضى الشتاء نائمة . ونمو عظام الخنازير وقرون الأوعال . وبروز الأسنان وأمراضها . وتجمد الدم . وبرء الجروح . وطبيعة الأمراض التناسلية . وجريان الدم التكميلى . وتكون الجنين والأعضاء . وشذوذ الخلقة . والنباتات المتحجرة . والحيوانات اللافقرية . ودراسة كل ما استطاع أن يتحصل عليه فى عالمى النبات والحيوان من جهاز وعضو ونسيج من حيث تشريحها ووظائف أعضائها وطبيعة أمراضها . وهذه القائمة ناقصة نقصا شديدا ولكنها ستكفى فى الارشاد إلى جزء من النشاط الشامل المتعدد النواحى لهذا العقل العظيم الفذ .

هذا البحث المتنوع التشريحى والفيزيولوجى كان لا بد أن يؤدى إلى نتائج معينة . فهو قد أدى بصاحبه إلى أن حدد الأصول التى اكتشفها وراء ما للتركيب والوظيفة من ظاهرات متنوعة لا تحصى، فان عرض هذه الأصول صار أمرا لا محيص عنه وكذلك الدلائل الواقعية التى استنبطت منها . وفى سبيل هذا العرض وجدت وسائل ثلاث : الشرح الكلامى، والشرح الكتابى، والمتحف التشريحى . وقد استخدم هنتر هذه الوسائل الثلاث جميعاً .

ففى سنة ١٧٧٣ بدأ محاضراته الشهيرة الخالدة عن أصول الجراحة وممارستها، وأدخل فيها عمداً «كل ما يلزم من الحياة الحيوانية لتوضيح الأصول » . وهكذا كانت المحاضرات فاتحة لعصر جديد إذ ضربت بتقاليد العصر القديمة عرض الحائط وكانت انقلابية فى موضوعاتها وفى مداها . وبواسطتها أسبغ هنتر يدا بيضاء على جراحى المستقبل وأطبائه وهو شىء لم يكن إذ ذاك موجودا فى غير انجلترا ونعنى ما اكتسبوه من علم نافع بأصول العلوم الأساسية التى تسبق العلاج من تشريح وتكون الجنين ووظائف الأعضاء والطريقة الاختبارية .

فهو كان سابقا لعصره ولجيله إذ أدرك بوضوح الضرورة الماسة للتجهيز الفكرى والتدريب الذهنى فى تعليم الجراح والحاجة إلى تشريب المهنة

لجراحية والطبية بالأصول العلمية . وهكذا سبق فأدرك المهمة العظمى للجامعات الحديثة وللكليات الطبية قبل هذه بعشرات السنين . وليس من المبالغة أن نقول إنه فيما بين وفاة هنتر وتأسيس هذه المعاهد فيما بعد تبق شعلة الطب العلمى – فى بريطانيا على الأقل – متقدة لا بفضل التقليد الهنترى الممجد .

اولئك الذين حضروا المحاضرات (هوم وجينر وآستلى كوبر وابرنثى كلاين وغيرهم) تلقوا تلقيا مباشرا ثمرات تلك الجهود العظيمة فى الميادين الشاسعة للتشريح وتكون الأجنة وعلم وظائف الأعضاء وطبيعة الأمراض ودراسة الكائنات المنقرضة وعلم تركيب النباتات، تلك الجهود التى بذلها رجل لم يكن فرداً واحدا بل كان معهدا حيا للبحث البيولوجى والطبى .

فهم قد استمعوا إلى مبادئ جديدة يصدع بها، أن علم الباثولوجيا ى طبيعة الأمراض لا يمكن أن يفهم بدون معرفة كافية بعلم التشريح علم وظائف الأعضاء المقارن . وأن حقائق الظاهرات الحيوية كالتنفس الهضم وغيرهما كثيراً ما يكون إدراكها أوثق بواسطة البحث المقارن الاختبارى الواسع بل أحيانا لا يمكن إدراكها البتة إلا بهذه الواسطة . أن الوظيفة (أى العمل الفيزيولوجى) يحدد التكوين (أى الهيئة ورفولوجية) . وأن قابلية شفاء المرض موجودة أصلا فى الجسم الحى، أن الطبيعة لا تنفك تحاول شفاء نفسها بنفسها، وأن المهارة الطبية الحقة هى فهم طرق الطبيعة ووسائطها ثم إعانتها بما يؤدى إلى نجاح عملها .

ولقد كان عظيما حقا ذلك الجهد الذى بذله هنتر فى تحضير هذه المحاضرات، أنه لم يسلم بشىء لا حجة عليه، وكان رجوعه دائما إلى الطبيعة، يتفوه بتقرير إلا ودعمه وبرهن عليه بملاحظته وتدبره الشخصيين . وفى لم يقدر إلا القليلون من مستمعيه أهمية كل ما سمعوا وما رأوا، فانهم ن ينقصهم ما لأستاذهم من عقل جبار . ولكن تعليم هنتر بدأ يحرز هو جدير به من تقدير الجيل المعاصر إحرازا أكيدا وإن كان بطيئاً .

فصارت قدوته مبعثا للالهام واتبعت طرقه وسلم بصدق وجهة نظره الفلسفية ، واستقر التقليد الهنترى فى عقول الجيل الناشئ من الجراحين وعلى يدهم احتفظت به الجراحة البريطانية احتفاظا سرمديا .

وإلى جانب تلك المحاضرات قد أعلن هنتر نظرياته فى ميادين أخرى مثل اجتماعات الجمعية الملكية وجمعية ترقية التاريخ الطبيعى والحلقات الطبية التى كانت تجتمع بانتظام فى منزله . وأما دعاوته الكتابية فوجدت ميادين فى مراسلاته الغزيرة وفى رسائله العديدة إلى الجمعيات العلمية حول أعمالها وفى كتبه ومقالاته التى طبعت جميعها ما عدا واحداً فى مطبعته الخاصة .

ولكن الوسيلة التى عبرت عن معتقداته أبرز تعبير وأفرده كانت متحفه المنقطع النظير الذى تطلب إنشاؤه ثلاثين عاما من العمل المستمر والذى كلفه الاحتفاظ به ثروته بأجمعها . ولقد كان هذا المتحف

حفر لعيادة طبية فى القرن الثامن عشر، مع تمثيل الآلات الجراحية لذلك العهد.



ثمن ممتلكاته وأدعاها لفخاره ثم صار أصدق تذكار له . فان شهرة هنتر كرجل من رجال العلم لا تنفك تقترن بهذا المتحف الذى هو واسطة رائعة للتعليم البيولوجى وللبحث البيولوجى صاغها عقله ويداه .

وقد وجدت المتاحف التشريحية منذ أوائل القرن السادس عشر لذلك لم تكن شيئا مستحدثا فى القرن الثامن عشر انما كانت تزداد نتشارا ورواجا . ولكن المتاحف قبل المتحف الهنترى كانت إما مستودعات لغرائب والعجائب على نمط القرون الوسطى وإما مجموعات الغرض لوحيد منها المنفعة المادية المحضة . وأما متحف هنتر البديع فقد امتاز بأنه لم ينتم إلى أحد النوعين بل كان شيئا جديدا تام الجدة فى فكرته وغرضه . فهو لم يكن مجموعة مختلطة من التشريحات والنماذج جيدة كانت أو رديئة، ولا كان مزيجا من الأشياء التى لا تناسق بينها ولا ترابط كما كان متحفا رويش وسوامردام . بل كان تجسيما لمبادئ وأفكار وشرحا على لأصول الجوهرية للعلم التشريحى .

فلقد كانت رغبة هنتر أن يلخص فى وسائط النماذج والتحضيرات القوى المحركة التى تكمن وراء التشريح ووظائف الأعضاء وطبيعة المرض فى العالم الحيوانى بأكمله . وإن مبلغ طموح هذه الرغبة لدليل قاطع على بتكار عقله وسعة نظرته الفلسفية .

ولم يكن بجانب المتحف الهنترى متاحف أخرى تنافسه وتباريه، لسوء حظ العلم البيولوجى لم تكن متاحف أخرى تقلده وتحذو حذوه، انه ما من شك فى أن عدم اتباع خطى هنتر فى خلال الأجيال التالية دى بالبحث المورفولوجى (عن هيئة وتكوين الكائنات الحية) إلى الحيد ن جادة الطريق والزيغ إلى سبل تافهة أو عقيمة .

وإن تحليل محتويات المتحف الهنترى الأصلى ليدل بطريقة قاطعة لى أن اهتمام هنتر وجهده كانا فى جوهرهما وأساسهما بيولوجيين ولم يكونا متعلقين بالجراحة إلا من وجه ثانوى . فكان عدد التحضيرات لفيزيولوجية (أى المقارنة) ٤٣٦٢ وهذا يكاد يكون ضعف عدد الباثولوجية

اى المتعلقة بالامراض (٢٢٤٥). وعلم دراسة الكائنات المنقرضة يمثله ٣٧٠٩ نماذج أخرى. وعلم الحيوان يمثله نحو ألفين. وهكذا نجد أن النماذج المورفولوجية من كل الأنواع كان عددها عشرة آلاف وتسعة وثلاثين نموذجا بينما كان عدد النماذج الباثولوجية المتعلقة بالامراض لا يتجاوز خمس ذلك العدد. ومن الهام أن نلاحظ أن التشريح الانسانى لم يخصص له قسم مستقل فى المتحف، بل رتبت التحضيرات الانسانية بحسب محلها المناسب ضمن المجموعة الفيزيولوجية تابعة لتسلسل التحضيرات النباتية والحيوانية.

خلاصة محتويات المتحف الهنترى الأصلى

تحضيرات فيزيولوجية (فى الكحول)	٣,٧٤٥
تحضيرات فيزيولوجية (مجففة)	٦١٧
تحضيرات عظمية	٩٦٣
تحضيرات حيوانية (حيوانات محنطة)	١,٩٦٨
تحضيرات لكائنات منقرضة (نباتات)	٢٩٢
تحضيرات لكائنات منقرضة (حيوانات لافقرية)	٢,٢٠٢
تحضيرات لكائنات منقرضة (حيوانات فقرية)	١,٢١٥
تحضيرات باثولوجية (فى الكحول)	١,٠٨٤
تحضيرات باثولوجية (مجففة)	٦٢٥
تحضيرات باثولوجية (حصوية)	٥٣٦
تحضيرات للمخلوقات الشاذة الخلقة	٢١٨
تحضيرات ميكروسكوبية	٢١٥
	١٣,٦٨٠

وما حدث قط قبل ذلك ولا بعد ذلك أن مثل هذه الذخيرة الوافرة من المواد المورفولوجية جمعت بمثل ذلك الكد والمثابرة فى سبيل الهدف الذى كان يرمى إليه هنتر. وهو نفسه قد بذل بسخاء وقته وجهده وثروته

وصحته الجسمانية فى سبيل نوال غايته باخلاص للعلم محض النزاهة
ا يعلوه إخلاص بل يكاد لا يوجد له نظير . وجهده الشخصى يوضحه
تشريحه لخمسمائة نوع حيوانى على أقل تقدير كلها مختلف عن الآخر ولا يدخل
ى ذلك تشريحاته المتكررة لنوع واحد معين ولا أبحاثه النباتية الكثيرة .
نزاهته المتجردة من الغرض الذاتى يوضحها أنه تحمل على كاهله هو
حده العبء المالى الجسيم لمتحفه الضخم الذى ابتلع كل ما كسبه من
مهنته الجراحية حتى ترك من كان يعولهم فى فاقة وعوز . فهو إذن إذا
كم عليه بأحكام الاقتصاد اعتبر مبذرا ولكنه ترك العالم العلمى مدينا له .

وبعد وفاة هنتر بست سنوات ابتاع البرلمان للامة متحفه المحبب
لذى أغدق عليه ثلاثين عاما من التفكير والكد المضنى والذى أنفق
ليه ثروة تقدر بنحو سبعين ألفا من الجنيهات . ولما كان المتحف ذا شخصية
ميزة منفردة فى غرضه ومداه ومحتوياته عهد بالمحافظة عليه إلى جمعية
جراحين بلندن التى سميت فيما بعد بكلية الجراحين الملكية بانجلترا .

وكان اختيار جمعية الجراحين لتحافظ على المتحف أمرا طبيعيا لم يكد
كون منه بد لعدم وجود متحف بيولوجى قومى . وهنتر نفسه كان عضوا
جمعية الجراحين وقد وجه تعليمه إلى الجراحين، وقد أثرت قدوته
جهة نظره الفلسفية على الجيل الناشئ من رجال الطب الذين كان
بديهم فى ذلك الوقت أكثر التبعة فى صون العلم الطبيعى وتقدمه .

وقد برهنت الحوادث على أن هذا الاختيار كان سعيدا موفقا . فان
كلية لم تقتصر على القيام بواجب كفالتها باخلاص تام، بل إنها عملت
كمتها على تخليد المثل الهنترية بان شجعت اتساع المتحف الأصلى
ساعا طبيعيا أو تطوريا وبأن نسقت مجموعتها الفاخرة التى جمعتها هى
علة المتحف واسطة العقد منها . وهكذا نجا متحف جون هنتر من المصير
ى آل إليه متحف أخيه وليم، فلم يصر نموذجا أثريا راكدا عقيما بقى
إحدى الأحقاب بل صار تراثا مثقفا للاجيال القادمة وأداة للتعبير
غرض مؤسسه وشرحا منقطع النظير على تعليمه .

ظلت الكلية مدى قرن ونصف قرن من الزمان تكلأ بعين رعايتها التى لا تكل ذلك التذكار البارز لهنتر وتنميه، مستخدمة للقيام بوظائف المتحف علماء أكفاء مبرزين، من بينهم أوين وفلاور وباجت وشاتك وكيث . كما أن أجيالا من الجراحين ورجال العلم الطبيعى والاخصائيين فى علم البيولوجيا والسائحين والمستكشفين الجغرافيين وغيرهم من ذوى العقول المستنيرة اعتبروا كواجب عليهم وشرف لهم أن يزيدوا من هذا الكنز العلمى الوفير الذى صار خلال ذلك كعبة الباحثين والعلماء .

وهكذا قام متحف الكلية بمواصلة مشروع هنتر وإنمائه باخلاص وأمانة متجاوزا كل ما هو منفعى محض أو مختص بالمهنة ومكونا معهدا تعليميا هو أعجوبة العالم التشريحى وفخاره فى وقت معاً . وإن التقدم الذى قامت به أقسامه المتعددة يمكن أن يقدر بعض التقدير بالاطلاع على الجدول المضمن هنا الذى يبين ثروتها العددية قبل أن يدمرها السلاح الجوى الألمانى فى اليوم العاشر من مايو سنة ١٩٤١ .

فى تلك الليلة المشئومة دمرت أبنية متحف الكلية ومحتوياتها كلها تقريبا . فهلك ثلثا النماذج الهنترية واكثر من ثلاثة أخماس نماذج الكلية . وتلك كارثة بليغة على الكلية وعلى الأمة وعلى عالم العلم . وإن هذا الرزء الأليم ليعجز عن وصفه البنان، والجدول التالى نفسه لا يمكن أن يوضح قيمة الخسارة .

ولكن هذا العمل الوحشى لن يكون الضربة القاضية على متحف هنتر وأهميته البيولوجية . فانه قد بقى من نماذج هنتر ونماذج الكلية ما سيكون واسطة العقد لمتحف جديد ينظم على المنوال الهنترى ويضحى مرة أخرى مركزا عالميا للمعرفة الطبية والبيولوجية . ولقد أصدر مجلس الكلية قراره الرسمى بهذا، بينما تفضل صاحب الجلالة الملك جورج السادس بالتعبير عن اهتمامه الشديد بمشروع تجديد المتحف .

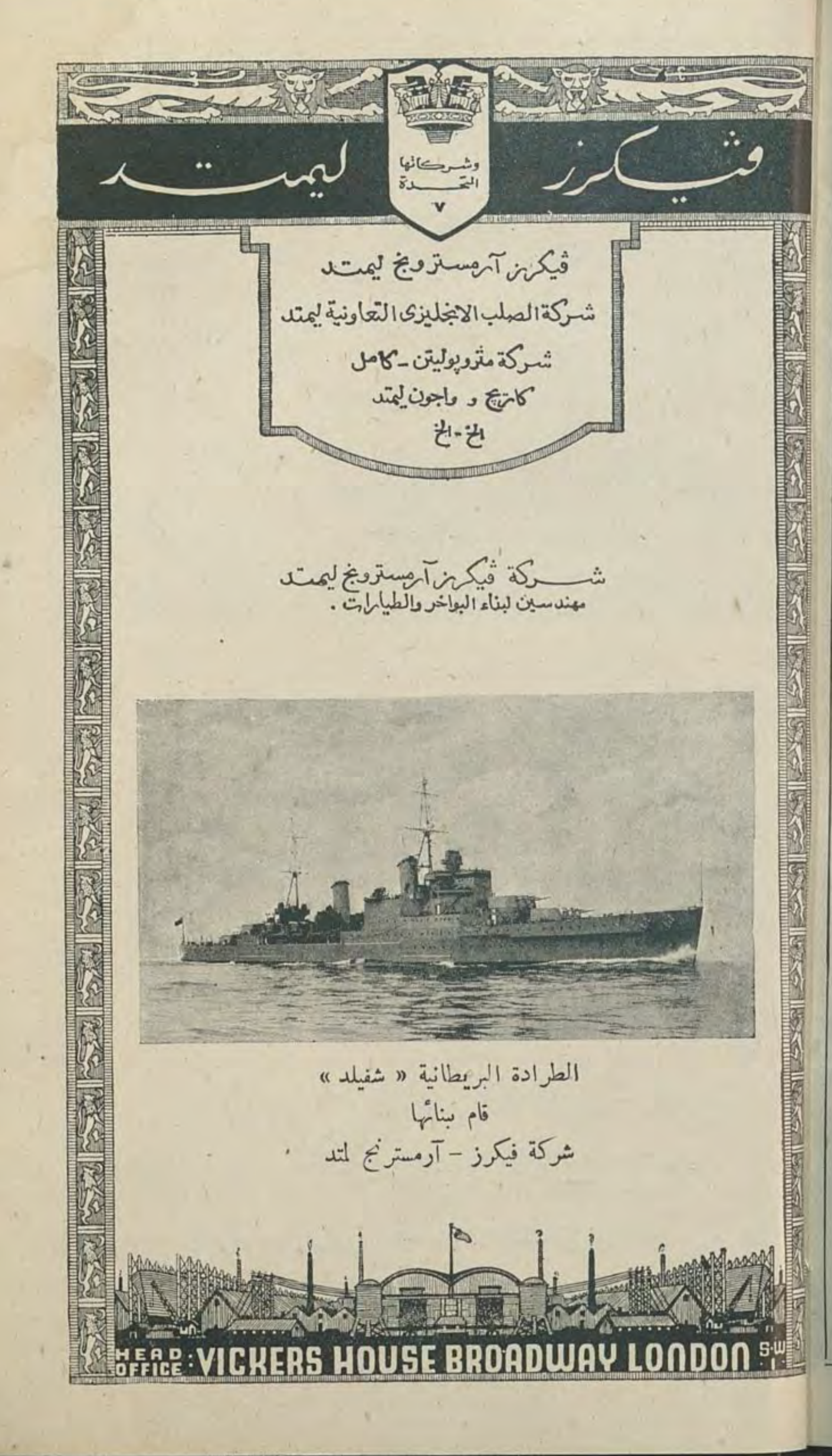
وإنه سيكون لزاما واجبا على بريطانيا والشعوب البريطانية بل

	١٩٤٠		١٩٤١	
	عدد النماذج			
	المتحف الهنترى	الكلية	المتحف الهنترى	الكلية
التشريح البشرى - - - -	—	١٬٦٨٠	—	٣١٠
التشريح المقارن - - - -	٥٬٤٠٠	٩٬٤٥٠	٢٬٠٢٦	٢٬٨٧٠
علم تركيب العظام - - -	١٬٦٥٥	١٥٬٥٤٥	٩٠	٦٬٢٠٠
علم دراسة الأسنان - - -	٨٠	٦٬٠٠٠	٨٠	٦٬٠٠٠
علم دراسة الأمراض - -	١٬٨٨٠	١٦٬٠٣٠	١٬٦٠٠	٣٬٥٥٠
علم دراسة المخلوقات الشاذة	١٧٠	١٬١٧٠	٢٣	٩٣٠
	٩٬١٨٥	٤٩٬٨٧٥	٣٬٨١٩	١٩٬٨٦٠

(هذه الأرقام لا تشمل التلف الذى أصاب الآلات والعدد والمجموعات التاريخية والمخازن بالكلية .)

العالم بأجمعه أن تقوم بهذا العمل العظيم الشاق عمل تجديد المتحف . ولكن قد وصلت الآن تبرعات للمعونة المادية وغير المادية من كل أنحاء الامبراطورية ومن الدول الحليفة وغيرها من الدول وهذا مما يضاعف الأمل . ويزيد من أهمية هذه التبرعات أنها قدمت طوعا بمجرد أن نشر نبأ الكارثة التى أصابت المتحف . فهى تدل على اعتراف عالم العلم بدينونته لهنتر وعلى عزمه الأكيد أن يبقى إلهامه نير الشعلة واضح القبس للاجيال القادمة .

قد أحرق السير ادوارد هوم المخطوطات الهنترية وبرغم ذلك انتصرت عبقرية مؤلفها . والآن قد أحرق الألمان متحف هنتر ولكن الروح الهنترية خالدة لا تفنى .



ڤيكرز ليمتد
وشركاتها المتحدة
٧
ڤيكرز آرمسترونج ليمتد
شركة الصلب الانجليزى التعاونية ليمتد
شركة متروپوليتن - كامل
كاريج و واجون ليمتد
الخ - الخ
شركة ڤيكرز آرمسترونج ليمتد
مهندسين لبناء البواخر والطيارات .
الطرادة البريطانية « شفيلد »
قام ببنائها
شركة فيكرز - آرمسترنج لمتد
HEAD OFFICE: VICKERS HOUSE BROADWAY LONDON S.W.1